رُؤَى المستشرقينَ حولَ الأثرِ الحضاريِّ لعُهودِ النَّبيِّ ﷺ ومواثيقِهِ "دراسةً تحليليةً نقديةً"

د/ رفيق مصطفى محمد مرعي
مدرس بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية (شعبة الحضارة)
بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة

الملخص:

يُعدُّ موضوع "عهودُ النبيِّ ﷺ ومواثيقُه" من الموضوعات التي تطرق إليها المستشرقون وتناولوها بالبحث والدراسة، وكان محورُ دراسة المستشرقين في هذا الصدد يتركز على مدى ما قدمتْه هذه العهودُ من آثارٍ حضاريةٍ للمجتمعاتِ الإنسانيةِ، ومدى ما حققتْه من مكاسبَ سياسيةٍ، فبينما كانت عهودُ النبيِّ ﷺ ومواثيقُه نموذجًا يُحتذى به في تحقيق مبدأ التعايش السِّلميّ والتسامح الديني في مجتمعٍ متعددِ الاتجاهاتِ، وخطوةً دبلوماسيةً حكيمةً لحلِّ النزاعاتِ والخلافاتِ القديمة، كان للمستشرقين رأي آخر؛ حيث يرون أن هذه العهودَ كانت مجردَ مناوراتٍ سياسيةٍ وتكتيكاتٍ عسكريةٍ مؤقتةٍ سَرعان ما تنتهي بعد تحقيق غرضها، أو أن هدف النبي ﷺ منها كان بسطَ سيطرتِه على مساحات كبيرة من أراضي الجزيرة العربية، وتوحيدَ جميع العرب ليكونوا تحت سلطته.

وقد تبين بعد دراسة كثير من نصوص المستشرقين حول هذا الموضوع، أن آراءهم تباينت في اتجاهين رئيسين: الاتجاه الأول: الانحراف التام عن المنهج العلمي السليم، وتعمد التشويه والتزييف، أما الاتجاه الثاني: فهو إظهار الإنصاف والموضوعية في بعض المواضع، وتحسس التحيز والميل في مواضعَ أخرى.

وقد تتبعَتِ الدراسةُ النصوصَ المتعلقة بعهود النبي ﷺ ومواثيقه من خلال كتابات المستشرقين، وعُنِيَتْ بتحليل الآراء التي وردت في هذه الكتابات ونقدها، ومحاولة تفسيرها وبيان مدى صحتها أو خطئها، مع مقارنتها بما ورد في المصادر التاريخية المعتبرة بعيدًا عن التحامل أو التحيز أو الميل.

الكلمات المفتاحية: المستشرقون، الأثر الحضاري، عهود النبي ﷺ ومواثيقه، التعايش السِّلميّ.

«Orientalists' Views on the Civilizational Impact of the Prophet's Covenants and Pacts: A Critical Analytical Study»

Dr/Rafik Mustafa Mohamed Marae.
Lecturer, Department of History and Islamic Civilization (Civilization Division), Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Cairo.

Abstract:

The topic of "The Prophet's Covenants and Pacts" is one of the topics that Orientalists have addressed and studied. The focus of Orientalists' study in this regard has been on the extent to which these covenants have provided Civilizational Impacts to human societies, and the extent to which they have achieved political gains. While the Prophet's covenants and pacts were a model to be emulated in achieving the principle of peaceful coexistence and religious tolerance in a multi-ethnic society, and a wise diplomatic step to resolve ancient disputes and conflicts, Orientalists held a different view. They believed that these covenants were merely political maneuvers and temporary military tactics that would quickly end after their purpose was achieved. Alternatively, they believed that the Prophet's goal was to extend his control over large areas of the Arabian Peninsula and unite all Arabs under his authority.

After studying many Orientalist texts on this topic, it became clear that their opinions diverged along two main directions: The first: a complete deviation from the sound scientific method, deliberately distorting and falsifying. The second: demonstrating fairness and objectivity in some instances, while detecting bias and partiality in others. The study traced texts related to the covenants and pacts of the Prophet (peace and blessings be upon him) through the writings of Orientalists, analyzing and critiquing the opinions contained in these writings, attempting to interpret them and determine their validity or inaccuracy, while comparing them to what is stated in reliable historical sources, avoiding bias, prejudice, or partiality.

Keywords: Orientalists, Civilizational Impact, Covenants and Pacts of the Prophet Muhammad.

المقدمة

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على النبيِّ المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد أرسى النبيُّ ﷺ أسسَ التعايش السِّلميّ بين المسلمين بعضهم البعض، وبين المسلمين وغير المسلمين؛ وذلك تأكيدٌ للقيم الحضارية التي أقرها الإسلام، والتي تقوم على أساس التسامح الديني والمعاملة الحسنة والأخوّة، وتحقيقًا لهذه القيم أقر النبي ﷺ **نظام العهود والمواثيق**، هذا النظام الذي ضَمِنَ حقوق كافة أطراف المجتمع وواجباتهم تجاه بعضهم البعض، فهو يحمي الحقوق ويضمن تنفيذ الالتزامات؛ مما يقلل من النزاعات التي تهدد استقرار المجتمع، ولأهمية هذا النظام في تحقيق القيم الحضارية في المجتمع أمر الله ﷻ بضرورة الوفاء به، فهو القائل: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٤]، وقد قرن النبي ﷺ بين الوفاء به والإيمانِ، وجعلهما مرتبطَيْنِ ارتباطًا وثيقًا، حيث قال ﷺ: «**لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ**»(١).

وعلى الجانب الآخر لم يَدَعِ المستشرقون بمختلف توجهاتهم الفكرية والمعرفية جانبًا من جوانب السيرة النبوية إلا قاموا بدراسته والكتابةِ فيه، ومن أهم هذه الجوانب التي اهتم المستشرقون بالكتابة فيها: "**عهود النبي ﷺ ومواثيقه**"، التي شغلت حيزًا كبيرًا من الدراسات الاستشراقية، فلا تكاد تخلو دراسة استشراقية في السيرة النبوية من الحديث عن عهود النبي ﷺ ومواثيقه، وكان محور دراسة المستشرقين في هذا الصدد يتركز على مدى تحقيق هذه العهود لمبدأ التسامح في

(١) عن أنس بن مالك ﷺ قال: ما خطبنا النبي ﷺ إلا قال: "لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ". **أحمد ابن حنبل**: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: السيد النوري، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، جـ٤، صـ٣٤٩.

الإسلام، ومدى ما حققته من مكاسبَ سياسيةٍ؛ لذلك فإن الآثار الحضارية لعهود النبي ﷺ ومواثيقه أمر تعددت الآراء فيه -كغيرها من الجوانب الإسلامية الأخرى- ، فمنهم من نظر إليها نظرةً موضوعيةً محايدةً، وأدى به إنصافُه إلى بيان الحقيقة، ورأى أن هذه العهود كانت قائمةً على التسامح الديني والتعايش السِّلميّ وتحقيق مبدأ المساواة والعدل، بينما رأى آخرون أنها كانت مبنية على المناورات السياسية والمصالح العسكرية، أو أنها كانت مجرد اتفاقيات مؤقتة.

أما عن الوقت المحدد الذي بدأ فيه المستشرقون دراسةَ عهود النبي ﷺ ومواثيقه بصفة خاصة، فربما كان ذلك في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي بعد زيارة الرحالة الفرنسي بالتاسار دي مونكونيس- Balthasar de Monconys (١٦١١-١٦٦٥م) لدير سانت كاترين - Saint Catherine's Monastery بجبل الطور في سيناء سنة (١٦٤٦/١٦٤٧م) الذي رجع ومعه الرواية المتعلقة باتصال محمد ﷺ بالدير، التي دَوَّنَها في كتابه: "الرحلة إلى مصر- Le Voyage en Égypte"[٢]، حيث ذكر فيها أن النبيَّ محمدًا ﷺ أعطى عهودًا لرهبان الدير تتضمن بعض الامتيازات مقابل أن يحسنوا ضيافة من يأتي إليهم من العرب[٣].

(2)**Balthasar De Monconys**: le Voyage en Égypte, Horace & Remeus George, France, 1664, pp, 228-229.

(٣) **نص الرواية**: "كان محمد تربطه صداقة بأحد الرهبان في هذا الدير، وقد أعطاه عهدًا وكتب له عددًا من الامتيازات والإعفاءات الضريبية، ومقابل هذا يتعين على الرهبان أن يطعموا كل من يفد عليهم من العرب، وقد وقع محمد بكفه المغموسة في الحبر على الورق، وقد أخذ وثيقة العهد هذه بعد ذلك السلطان العثماني سليم، ووضعها في خزانته بعدما ترك للرهبان نسخة منها كتصديق وتأكيد للامتيازات المشار إليها". نقلًا عن: **جان أندرو مورو (إلياس إسلام)**: عهود النبي محمد لمسيحيي العالم، ترجمة: عمرو سلام ومحمد الكوش، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٨م، صـ٢٢-٢٣؛ **John Andrew Morrow**: The Covenants of the Prophet Muhammad with the Christians of the World, Angelico Press, USA, 2013, p. 228.

أثار هذا الاكتشافُ شغفَ الرحالة الفرنسي **جان دي ثيفينو** – Jean de Thévenot (١٦٣٣-١٦٦٧)، الذي قرر الانطلاق في رحلة إلى جبل الطور فيما بين عامي (١٦٥٥/١٦٦٣م)، وقد دون أحداث هذه الرحلة في كتابه: "حكاية أسفار بلاد الشام – Relation d'un voyage fait au Levant"(٤)، ومن ضمنها بعض الروايات المتعلقة باتصال النبي ﷺ برهبان الدير(٥).

لذلك يمكن القول: إنه بعد إثارة أمر وثيقة دير القديسة كاثرين، بدأ المستشرقون ينتبهون لدراسة هذا الفصل من حياة النبي ﷺ، وهو عهوده ومواثيقه مع أهل الكتاب، فمنهم من أراد بذلك هدفًا علميًّا وبحثًا عن حقيقة هذه العهود، ومنهم من أراد هدفًا آخر يتطلع من خلاله لتشويه صورة الإسلام، وهذا الاتجاه الأخير كان سائدًا في هذه الفترة، فقد كان هناك اتجاه عدائي ضد الإسلام في الاستشراق الكلاسيكي، وهذا الاتجاهُ لم يتغير كثيرًا في الاستشراق الحديث، بالطبع هناك اختلاف في الشكل والتناول والدراسة، لكن ظل المضمون كما هو، وقد شهد بهذا الاتجاهِ المستشرقُ الإنجليزي مونتغمري وات – Montgomery Watt في كتابه: "محمد في المدينة – Muhammad at Medina" حيث ذكر أن الدراساتِ

(4)**Jean de Thévenot**: Relation d'un voyage fait au Levant, Chez Claude Barbin, Paris, 1665, pp,356-357.

(٥) **من هذه الروايات**: "أن النبي محمدًا في يوم من الأيام كان هو قائد القوافل التجارية، ولما نال منه التعب نام بجانب باب الدير، وأثناء نومه ظهر نسر بدأ يطوف فوق رأسه لفترة طويلة، ولما رأى رئيس الدير ذلك علم أنه سيكون له شأن عظيم، فطلب منه أن يكتب له كتابًا بحمايتهم، وبما أن محمدًا كان لا يعرف الكتابة، فقد أمر الرئيس بإحضار محبرة فغمس محمد كفه في الحبر، ووضعها على صفحة ورقة بيضاء، حيث بقيت صورة الكف مرسومة عليها، فأعطاها للرهبان كضمانة على وعده". **جون مورو (إلياس إسلام)**: عهود النبي محمد لمسيحيي العالم، صـ٢٢-٢٣؛ **John Morrow**: The Covenants of the Prophet Muhammad with the Christians, p. 228.

الاستشراقيةَ خلال العصور القديمة التي تناولت النبيَّ محمدًا كانت تهدِف إلى تصويره بأنه مخادع، وشهواني، وغير وفيّ[٦].

"with regard to the moral criticisms inherited from medieval times The main points are three, Muhammad has been alleged to be insincere, to be sensual, and to be treacherous"[7].

فكانت النتيجةُ ظهورَ كثير من المؤلفات التي عكست رغبة هؤلاء في محاولة الانتقاص من دور الحضارة الإسلامية في النهوض بالحضارة الإنسانية، كما أن بعض هذه البحوث قد طُبع بطابَع التحيز، مما يثير الشك حولها؛ لعدم الالتزام بالمنهج العلمي السليم، بالإضافة إلى أن معظم أخطاء المستشرقين في هذه الفترة يرجع إلى عدم إتقانهم الكامل للغة العربية، أو عدم إدراكهم لأصول الشريعة الإسلامية وأحكامها، وبطبيعة الحال فهناك منصفون –وإن قلوا–[٨] تناولوا عهود النبي ﷺ ومواثيقه بطريقة موضوعية بعيدة عن أي تحيزٍ أو ميل.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

لما كانت الدراساتُ الاستشراقيةُ متشعبةَ الجوانب ومترامية الأطراف، فإنني حددت موضوع البحث في أن يكون عن **رؤى المستشرقين حول الأثر الحضاري لعهود النبي ﷺ ومواثيقه**.

(٦) **مونتغمري وات**: محمد في المدينة، ترجمة: شعبان بركات، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، صـ٤٩٥.

(7)**Montgomery Watt**: Muhammad at Medina, Clarendon Press, USA, 1956, p.324.

(٨) سنحت الفرصة أمام بعض العقلاء من المستشرقين للوقوف في وجه الظلم الذي لقيه الإسلام في الغرب في القرون الوسطى، ولا شك أن من المستشرقين من نظر إلى الإسلام نظرة موضوعية محايدة ولم يُنكر فضل الإسلام في تأكيد القيم الحضارية، وقد عرفوا الإسلام من خلال مصادره وتاريخه، أو من خلال الاختلاط بأهل الإسلام أنفسهم، بل إن منهم من قام بالرد على كتابات المستشرقين المعادية للإسلام، فالاستشراق ليس كلُّه دائرًا في دائرة التزييف والتشويه للحقائق.

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوعِ للدراسة والبحث عدةُ دوافعَ، منها:

أولاً: أن السيرة النبوية بصفة عامة كانت –وما زالت– من الموضوعات البارزة التي تطرق إليها المستشرقون، يُضاف إلى ذلك ما تتعرض له من محاولات التشويه والتزييف؛ ومِن ثَمَّ تحتم علينا أن نطَّلِعَ على هذه المؤلفاتِ وأن نضعها على بِساط البحث، دراسةً، وتحليلاً ونقدًا؛ لنُقَوِّمَ ما في هذه الدراسات من عِوَج، ونصلحَ ما فيها من خَلَل، ونثبتَ ما فيها من زَيْفٍ.

ثانيًا: تناول المستشرقون موضوع عهود النبي ﷺ ومواثيقه منذ القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلاد؛ فكانت من أقدم الموضوعات التي تناولها المستشرقون، فمن الوارد أن يكون المستشرق قد وقع في بعض التفسيرات الخاطئة لهذه العهود، وربما دفعته نزعته الدينية إلى احتقار منجزات هذه العهود، وربما صَورها تصويرًا كاذبًا مباينًا للواقع، خاصة أنه لم تكن هناك دراساتٌ نقدية لكتاباتهم عن الإسلام.

ثالثًا: إن دراسة أقوال المستشرقين في موضوع عهود النبي ﷺ ومواثيقه يُسهم بطريقة كبيرة في تقويض التفسيرات المتطرفة أو المتحيزة في دراسة هذا الموضوع، التي ربما شوهت بعضَ مبادئ الإسلام في التعامل مع الآخر والتي أقرتها بنود هذه العهود، خاصة أن عهود النبي ﷺ ليست معروفةً على نطاق واسع، وتعتبر أقلَّ شهرةً بين عامة الناس من الموضوعات الإسلامية الأخرى.

رابعًا: تحتوي عهود النبي ﷺ ومواثيقه على كمٍّ هائل من المعلومات التاريخية بالغة الأهمية المتعلقة بحياة النبي وعلاقاته بالمجتمعات المسيحية في ذلك الوقت؛ مما يتيح إعادة النظر في العلاقات الإسلامية المسيحية في وقتٍ تشهد فيه هذه العلاقات تشويهًا وتزييفًا من بعض المستشرقين الذين يميلون إلى التعصب الأعمى؛ وما ذلك إلا ليُهَوِّنوا من شأن سماحة الإسلام في التعامل مع الآخر.

خامسًا: الاستزادة من المعلومات الخاصة بهذا الموضوع، وهذه المعلومات تتمثل في بعض المصادر الفارسية واللاتينية والتركية التي اعتمد عليها المستشرقون في كتاباتهم عن عهود النبي ﷺ ومواثيقه، فقد توافرت لديهم بعض الآثار والنصوص والوثائق التي ربما لم تتوافر للباحثين المسلمين.

سادسًا: الشعور بالمسئولية: إذ إنني أرى أن الأزهر الشريف أهمُّ حصون الدفاع عن الإسلام، ويقع على عاتقه مسئولية التصدي لشبهات المستشرقين والرد عليها، وإن تخلينا عن هذا الدور فلن يقوم به غيرُنا، وإن قاموا به فلن يؤدوه بنفس الغيرة والفهم الصحيح كما يؤديه أبناءُ الأزهر.

- **أهداف الدراسة:**

إن الهدف من دراسة عهود النبي ﷺ ومواثيقه هو التأكيد على أهمية الوفاء بالعهد كخلق إسلامي أصيل، وإظهار تعاليم الإسلام السمحة، والوقوف على القيم الحضارية النبيلة التي أقرتها هذه العهود، وليس الهدف من هذا البحث هو إظهار الأثر الحضاري لعهود النبي ﷺ ومواثيقه فحسب، وإنما الهدف منه يكمن في إيضاح وجهة النظر الأخرى المتمثلة في آراء المستشرقين ومعالجتهم للقيم الحضارية التي حققتها عهود النبي ﷺ ومواثيقه، وتهدف الدراسة كذلك إلى تحليل تلك الاختلافات في تفسير هذه العهود بين المصادر الإسلامية والرؤى الاستشراقية، مع التركيز على الجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية والعسكرية.

- **الدراسات السابقة:**

أما عن الدراسات السابقة التي تتعلق بموضوع البحث فليست هناك –فيما أعلم– دراساتٌ تتعلق بموضوع البحث الذي نحن بصدده، فلم يسبق أن تناول أحدٌ الأثر الحضاري لعهود النبي ﷺ ومواثيقه من المنظور الاستشراقي، إلا أن هناك دراساتٍ تناولت عهود النبي ﷺ ومواثيقه من خلال إثبات صحة هذه العهود من

عدمها، عل سبيل المثال:

- كتاب: "**عهود ومواثيق النبي مع مسيحيي العالم**" للكاتب الكندي John Andrew Morrow، الذي كان مسيحيًّا فأسلم وأصبح اسمه: "إلياس إسلام".
- وكتاب: "**مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة والراشدة**" للكاتب الهندي محمد حميد الله.
- وكتاب: "**دبلوماسية محمد في ضوء رسائل النبي ومعاهداته**" للكاتب عون الشريف قاسم.
- وهناك بحث تناول القيم الاجتماعية في وثيقة المدينة للكاتب "جودت أنور مجيد"، تحت عنوان: "**القيم الحضارية في وثيقة المدينة – دراسة تحليلية**".

◆ **منهج البحث:**

أما عن منهج البحث فسيعتمد على المنهج "**التحليلي النقدي**"، حيث يقوم الباحث بتتبع النصوص المتعلقة بعهود النبي ﷺ ومواثيقه من خلال كتابات المستشرقين، وتحليل الآراء الواردة في هذه الكتابات، ونقدها، مع مقارنتها بما ورد في المصادر العربية، كما سيقوم الباحث بتوضيح بعض المصطلحات الحضارية المبهمة بالاستعانة بالمصادر التاريخية المعتبرة.

◆ خطة البحث:

أما عن خطة الدراسة فقد اقتضتْ طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وثَبَت بالمصادر والمراجع، وذلك على النحو الآتي:

- **المقدمة**: وتتضمن نظرة عامة على موضوع البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.
- **التمهيد**: وفيه التعريف بمصطلحات البحث، ومدى صحة العهود والمواثيق بين الرؤية الاستشراقية والمصادر الإسلامية.
- **المبحث الأول**: بعنوان: "رؤى المستشرقين حول **الأثر الديني** لعهود النبي ﷺ ومواثيقه"
- **المبحث الثاني**: بعنوان: "رؤى المستشرقين حول **الأثر الاجتماعي** لعهود النبي ﷺ ومواثيقه".
- **المبحث الثالث**: بعنوان: "رؤى المستشرقين حول **الأثر السياسي** لعهود النبي ﷺ ومواثيقه".
- **المبحث الرابع**: بعنوان: "رؤى المستشرقين حول **الأثر العسكري** لعهود النبي ﷺ ومواثيقه".
- **الخاتمة**: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة، ثم ثبت بقائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

لكي تضح الغاية التي يتجه إليها البحث؛ لا بُدَّ من تحرير مصطلحات عنوانه تحريرًا علميًّا، واستيضاح المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها، وقد شمل العنوان عدة كلمات لا بُدَّ من تعريفها تعريفًا لغويًّا واصطلاحيًّا، وهذه الكلمات هي: **(الاستشراق – الحضارة – العهود – المواثيق)** وبيانها كالتالي:

أولاً: الاستشراق:

➢ **<u>الاسْتِشْرَاق في اللغة</u>**: مشتق من الفعل "**اسْتَشْرَقَ**"، والفعل "**اسْتَشْرَقَ**" مأخوذ من كلمة "**شَرْق**" وتدل على مكان شروق الشمس، وناحية الشرق(٩)، فأضيفت للكلمة (الهمزة والسين والتاء) فأصبحت "**اسْتَشْرَقَ**" أي: طَلَبَ الشرقَ، كما في كلمة "اسْتَنْصَرَهُ" في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ [القصص:١٨]، أي طلب نُصْرَتَه(١٠)، فيكون المعنى اللغوي لكلمة "**الاستشراق**": طلب الشرق، أو: الاتجاه ناحية الشرق.

➢ **<u>الاسْتِشْرَاق في الاصطلاح</u>**: "**الاستشراق**" كلمة اصطلاحية لا يُراد بها مدلولها اللغوي المأخوذ من موضع شروق الشمس، وإنما هي ترجمة لمصطلح أجنبي باللغة الإنجليزية وهو: "Orientalism"، وقد تعددت الاتجاهات حول المعنى الاصطلاحي لمفهوم الاستشراق، إلا أننا من الممكن أن نصنف هذه الاتجاهاتِ إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: وهو الذي يُعَرِّف الاستشراقَ بأنه: "الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه

(٩) يُنظر مادة (ش ر ق): **الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر**: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، صـ١٦٤؛ **ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم**: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، جـ١٠، صـ١٧٤.

(١٠) يُنظر مادة (ن ص ر): **الرازي**: مختار الصحاح، صـ٣١١.

عام".

الاتجاه الثاني: وهو الذي يُعرف الاستشراق بأنه: "أسلوب في الفكر يُعنَى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة؛ لفهمه والسيطرة عليه ومحاولة إعادة توجيهه والتحكم فيه"(١١).

➢ **نشأة الاستشراق:** إن الوقت المحدد الذي نشأ فيه الاستشراق وبدأ فيه الغرب دراسة التراث الإسلامي بصفة عامة، هو أمر اختلفت الآراء فيه وذُكر في ذلك أقوال عدة؛ نظرًا لأن تحديد نشأة الاستشراق يتوقف على تحديد مفهوم مصطلح الاستشراق وميدان دراسته، ويمكن تصنيف هذه الاختلافات إلى اتجاهين رئيسين على سبيل الإجمال، هما:

الاتجاه الأول: مَنْ يُعَرِّف الاستشراق بأنه: "**دراسة الغرب لأديان الشرق وثقافته دون حصره في دراسة الإسلام فقط**" يحدد بداية نشأة الاستشراق بأول اتصال بين الشرق والغرب قبل الميلاد مع بداية الصراع بين الفرس واليونان في القرن السادس ق. م، ثم الاكتساح اليوناني بقيادة الإسكندر الأكبر بلاد الشرق إلى أن أشرف على أبواب الصين في القرن الرابع ق.م(١٢)، ومن هؤلاء أيضًا من يقول بأن بداية الاستشراق كانت بتلك العلاقات الإنسانية والثقافية بين الغرب والشرق بصفة عامة، من خلال دراسة اللغات الشرقية والفنون والعادات والمعتقدات كمرحلة أولى لاستكشاف تطور الفكر الإنساني، وإيجاد روابط بين الثقافات الشرقية

(١١) لمزيد من التعريفات يُنظر: **أحمد مختار عمر**: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، جـ٢، صـ١١٩٢؛ **إدوارد سعيد:** الاستشراق، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، صـ٣٨؛ **علي بن إبراهيم النملة**: الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، صـ١٧-١٨.

(١٢) **أحمد سمايلوفتش**: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، د.ت، صـ٧١.

والغربية[١٣].

الاتجاه الثاني: يُعَرِّف الاستشراق بأنه: "**دراسة الغربيين للإسلام والمجتمعات الإسلامية خاصة**"، وهؤلاء يختلفون حول نشأته، فمنهم من حدد بدايته بظهور الإسلام وما وقع من جدل وحوار بين المسلمين وأهل الكتاب ومحاولات اليهود والنصارى للتشكيك في عقيدة المسلمين وفي معجزات الرسول ﷺ[١٤]، ومنهم من حدد بدايته باهتمام الغرب باللغة العربية وآدابها، وتزايد الاهتمام بحركة الترجمة[١٥]، وآخر يحدد بداية الاستشراق بالقرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، حيث ارتبط ذلك باهتمام الكنيسة الكاثوليكية بالتعرف على الإسلام والمسلمين، فأرسلوا البعثات إلى الشرق لتعلم اللغة العربية؛ في سبيل التعرف على مصادر الحضارة الإسلامية والثقافة العربية وبعض اللغات الشرقية[١٦].

بينما حدد البعض نشأته بالقرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي مع ظهور أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم بتوصية من "**بطرس**" الملقب بالمحترم[١٧] الذي زار الأندلس، وأوصى بإصدار أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللاتينية عام (١١٤٣م)[١٨]، ويذهب البعض الآخر إلى أن بدايته كانت مع

---

(١٣) **محمد فاروق النبهان:** الاستشراق (تعريفه – مدارسه – آثاره)، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، المغرب، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، صـ١١.

(١٤) **محمد أبو سعدة**: الاستشراق والفلسفة الإسلامية، دار مصر العربية، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، صـ٣٥.

(١٥) **نجيب العقيقي**: المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م، جـ١، صـ١١٠.

(١٦) **مالك عمر الخضر:** إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٨ه/١٩٦٩م، صـ٤٧.

(١٧) **بطرس "المحترم":** مستشرق وراهب فرنسي، ولد حوالي ١٠٩٢م (٤٨٥هـ)، في أوفرن - Auvergne في وسط فرنسا، عُين رئيسًا لديرها في كلوني، وقد قصد الأندلس، ثم رجع إلى ديره ليصنف الكتب في الرد على علماء الجدل المسلمين، وقد عنى بأحوال المستعربين الكاثوليك الذين كانوا يعيشون تحت الحكم الإسلامي في الأندلس. **نجيب العقيق**: المستشرقون، جـ١، صـ١٢٢؛ **عبد الرحمن بدوي**: موسوعة المستشرقين، صـ١١٠.

(١٨) **علي إبراهيم النملة**: المستشرقون والتنصير (دراسة العلاقة بين ظاهرتين)، مكتبة الملك فهد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨ه/١٩٩٨م، صـ٦٢.

الحروب الصليبية في بداية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي؛ إذ إن الحروب الصليبية من البدايات القوية لظهور حركة الاستشراق(١٩)، ومنهم من حدد بدايته في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي حيث انعقاد مجمع فيينا عام (١٣١٢م) الذي أوصى بإنشاء كراسي اللغة العربية في جامعات أكسفورد وكامبردج وبولونيا وروما(٢٠)، وفريق يحدد بدايته بظهور المؤتمرات الدولية للمستشرقين، إذ عُقد أول مؤتمر دولي عام (١٨٧٣م)، كذلك إنشاء الجمعيات الاستشراقية التي نَشِطت في إصدار المجلات والمطبوعات الاستشراقية في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي(٢١).

وأيا كان الوقت الذي نشأ فيه الاستشراق، وأيا كان ميدان دراسته، ورغم اختلاف كل هذه الآراء إلا أن النتيجة كانت ظهور كثير من الدراسات والمؤلفات التي تهتم بالإسلام وحضارته، وهذه المؤلفات أصبحت فيما بعدُ مرجعًا لا غنَى عنه في دراسة بعض جوانب الحضارة الإسلامية، فتحتم علينا دراستها لنفيد من هذا الجهد الذي بذله المستشرقون من ناحية، ومن ناحية أخرى لنصلح ما في هذه المؤلفات من خَلَل، ونثبت ما فيها من زيف.

ثانيًا: "الحَضَارة":

- **الحضارة في اللغة**: الإقامة في الحضر، والحضر مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني، وعكسها: "**البَداوَة**"، ومعناها الإقامة في البادية، والبادية أقل من المدن والقرى والريف(٢٢).

(١٩) **محمد عبد الله الشرقاوي**: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، دار البشير، القاهرة، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، صـ٢٧.

(٢٠) **إدوارد سعيد**: الاستشراق، صـ٨٠.

(٢١) **محمود حمدي زقزوق**: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، د.ت، صـ٥٠.

(٢٢) **الجوهري، أبو نصر إسماعيل**: الصحاح تاج اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، جـ٢، صـ٦٣٢؛ **ابن منظور**: لسان العرب، جـ١٤، صـ٦٨.

➢ **الحضارة في الاصطلاح**: كما عرفها ابن خلدون هي: "التفنن في الترف وإتقان الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه"(٢٣).

أما استخدام مصطلح "**الأثر الحضاري**" في الدراسة فالمقصود به: تلك القيم والمبادئ الحضارية التي أقرتها عهود النبي ومواثيقه، والتي حكمت سلوك المسلم في تعامله مع غير المسلمين، فقد كانت قائمة على أساس العدل، والإحسان، والرحمة، والتسامح، والتعايش(٢٤) السِّلميّ(٢٥)، مع الحفاظ على كرامة الإنسان وحقوقه، وذلك انطلاقًا من قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].

ثالثًا: العهود:

➢ **العُهُود في اللغة**: العهود جمع مفردها "الْعَهْدُ"(٢٦)، والعهد قد يأتي بمعنى "**اليمين**

(٢٣) **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد**: تاريخ ابن خلدون = ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، صـ٤٦٥.

(٢٤) **التعايش لغة**: مشتق من الفعل "عايَشَ" أي التمسَ الألفة والمودةَ في العيش مع غيره، وقيل هو مأخوذ من الفعل "عَاشَ" أي التمسَ ما يضمن له الحياةَ والبقاءَ، تقول: عاش يعيش معاشًا، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ:١١] أي: يلتمسون فيه معايشهم من مأكل ومشرب. **ابن منظور:** لسان العرب، جـ٦، صـ٣٢٢؛ **الفيروزآبادى:** القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم، مؤسسة رسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، صـ٥٩٩؛ **أحمد بن فارس**: مقاييس اللغة، جـ٤، صـ١٩٤.

(٢٥) **"السِّلْم" لغة:** المصالحة والسلام، يقال: تسالموا أي تصالحوا، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال:٦١]. **الجوهري**: الصحاح تاج اللغة، جـ٥، صـ١٩٥١؛ **ابن منظور**: لسان العرب، جـ١٢، صـ٢٩٣.

(٢٦) كلمة "**العهد**" لها مرادفات كثيرة، منها: "**الإل**" كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾، ومنها "**الإصر**" كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ على ذلكم **إِصْرِي**﴾، ومنها "**الحبل**" كما في قوله تعالى: ﴿إلا **بحبل** من الله **وحبل** من الناس﴾. يُنظر: **مجاهد، أبو الحجاج بن جبر التابعي:** تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الفكر الإسلامي، مصر، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، صـ٣٦٥؛ **الطبري، محمد بن جرير الآملي**:

الموثق"، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل:٩١][٢٧]، وقد يأتي بمعنى "**التكليف**" ومنه قوله ﷻ: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام:١٥٢]، أي بتكاليفه[٢٨]، وقد يأتي بمعنى "**الوصية**" ومنه قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس:٦٠] أي: ألم أُوصِكُمْ ألا تطيعوا الشيطان؟[٢٩]، ويأتي أيضًا بمعنى **الذمة**، ومنه قوله ﷺ: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهدًا لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً"، معاهدًا أي ذميًّا[٣٠]، وكما هو ملاحظ فإن تلك المعاني اللغوية لكلمة "العهد" لا تخرج من كونها التزامًا بما يتم التكليف به، أو الاتفاق عليه، سواء بين الإنسان وربه، أو بين الأفراد بعضهم البعض، أو بين الجماعات.

➢ **<u>العهود في الاصطلاح</u>**: يختلف معنى العهود في الاصطلاح حسب السياق وحسب موضوعه، فهو معنًى عامٌّ يشمل: المعاهدة[٣١]، والموادعة[٣٢]، والمسالمة، والمصالحة، أما في سياق الموضوع الذي نحن بصدده الآن فالعهود معناها: التزامٌ بين فريقين على الصلح والتعايش فيما بينهما بسلام وترك الحروب والتنافر، يُقال:

تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة رسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، جـ٧، صـ١١٢.

(٢٧) يُنظر مادة (ع هـ د): **الرازي**: مختار الصحاح، صـ٢٢٠؛ **ابن منظور**: لسان العرب، جـ٣، صـ٣١١.

(٢٨) **الطبري**: تفسير الطبري، جـ٩، صـ٦٦٦.

(٢٩) **الطبري**: المصدر نفسه، جـ٢٠، صـ٥٤١.

(٣٠) **أحمد مختار عمر**: معجم اللغة العربية المعاصرة، جـ٢، صـ١٥٩٨.

(٣١) قمتُ باختيار لفظة "**عهود**" بدلا من "**معاهدات**" لأن العهود أشمل، فتكون بين الأفراد، وبين الجماعات، وبين الأمم في أوقات السلم والحرب، فقد كانت هناك عهود للأمم التي تدخل الإسلام مثل العهد الذي كتبه النبي ﷺ إلى صيفي ابن عامر، بينما المعاهدات تكون بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول، وعادة تكون في أوقات الحروب، ويكون شرطها الرئيس ترك القتال. لمزيد من التفصيل: يُنظر: **الكاساني، أبو بكر بن مسعود**: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، جـ٧، صـ١٠٨؛ **ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي**: المغنى، مكتبة القاهرة، مصر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، جـ٩، صـ٢٩٦.

(٣٢) الموادعة ذكرها ابن سلام في كتاب "**الأموال**" حيث قال: "أول فرقة غدرت ونقضت الموادعة بنو القينقاع". **ابن سلام، أبو عبيد القاسم البغدادي:** كتاب الأموال، تحقيق: محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، صـ٢٦٦.

تعاهد الفريقان، أي: اتفقا على ألا يقاتل أحدُهما الآخرَ[٣٣].

رابعًا: المواثيق:

➢ **المواثيق في اللغة**: المواثيق جمعٌ مفردها "المِيثَاق"، والميثاق: العهد والمعاهدة، ومنه قوله ﷻ: ﴿ومِيثاقَهُ الذي واثَقَكُمْ به﴾ [المائدة:٧][٣٤].

➢ **المواثيق في الاصطلاح**: هو ما يتعاهد أو يتحالف عليه شخصان أو أكثر، ومنه قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ﴾ [يوسف:٨٠]، وعادة ما تكون اتفاقًا على عدم الاعتداء، ومنه قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلاَ يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد:٢٠][٣٥]، أما فيما يخص تعريف هذا المصطلح من خلال هذه الدراسة فيمكن تعريفه بأنه: عهد أو اتفاق مُلزِم مكتوب بين الجماعات، ويمثل وثيقة أساسية تحدد بنود "**التعايش السِّلمي**"[٣٦] بين الجماعات.

➢ **صحة وثائق العهود بين الرؤية الاستشراقية والمصادر العربية:**

من البديهي أن يستمِدَّ المستشرقون كتاباتِهم عن عهود النبي ﷺ ومواثيقه من المصادر العربية المعتبرة، وأن ما يخالف هذه المصادر يعتبر غيرَ صحيح، لكن بعد أن بدأ المستشرقون في الرحلات والبعثات العلمية والدينية إلى كثير من مناطق الشرق الأوسط بما في ذلك الكنائس والأديرة، مثل الرحالة الفرنسي **بالتاسار دي مونكونيس**- Balthasar de Monconys (١٦١١-١٦٦٥م)، ومواطنه الرحالة **جان دي ثيفينو** - Jean de Thévenot (١٦٣٣-١٦٦٧م)، وجدوا الكثير من

(٣٣) **الكاساني**: بدائع الصنائع، جـ٧، صـ١٠٨.
(٣٤) **الجوهري**: الصحاح: جـ٤، صـ١٥٦٣؛ **الرازي**: مختار الصحاح، صـ٣٣٢؛ **ابن منظور**: لسان العرب، جـ١٠، صـ٣٧١.
(٣٥) **أحمد مختار عمر**: معجم اللغة العربية المعاصرة، جـ٣، صـ٢٣٩٩.
(٣٦) **التعايش السِّلميّ اصطلاحًا**: مصطلح مركب من لفظين (التعايش – والسِّلم)، ويشير هذا المصطلح إلي قدرة الأفراد والجماعات على العيش معًا بسلام وتفاهم، بغض النظر عن اختلافاتهم الدينية، أو العرقية، أو الثقافية، أو الاجتماعية **أحمد مختار عمر**: معجم المعاصرة، جـ٢، صـ١٥٨٣.

الوثائق التي تخص عهود النبي ﷺ ومواثيقه لنصارى زمانه، وعلى سبيل المثال: وثيقة عهد النبي ﷺ لرهبان دير القديسة كاثرين بجبل الطور، ووثيقة عهد النبي ﷺ لنصارى فارس، ووثيقة عهد النبي ﷺ لنصارى نجران، ووثيقة عهد النبي ﷺ للنصارى الآشوريين، ومنذ ذلك الحين بدأ اهتمام المستشرقين بعهود النبي اعتمادًا على هذه الوثائق.

ومن الجدير بالذكر أن هذه العهودَ حتى وقت قريب كانت تُعتبر غير أصلية من قِبل الأكاديميين المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، لكن بعد نشر كتاب "عهود النبي محمد مع مسيحيي العالم – The Covenants of the Prophet Muhammad with the Christians of the World" للكاتب الكندي "جون أندرو مورو – John Andrew Morrow"، الذي كان مسيحيًّا فأسلم وأصبح اسمه "إلياس إسلام"(٣٧)، تجدد الاهتمام بهذه العهود، فذهب بعضهم إلى أن هذه العهود هي بالفعل وثائقُ أصليةٌ وصادقةٌ أصدرها النبي ﷺ، وبالتالي لا تزال آثارُها السياسيةُ ساريةً حتى يومِنا هذا، أما البعض الآخر فظل مقتنعًا برأيه أن هذه الوثائق غير أصلية.

وقد اعتمد أصحاب الرأي القائل بصحة هذه العهود على منهج "تحليل المصدر"، فقاموا بتحليل نصوص هذه الوثائق وبنودها لإثبات صحتها، وتوصلوا في النهاية إلى استحالة تزوير هذه الوثائق حتى تخرج جميعُها متشابهةَ الصياغةِ

(٣٧) **جون أندرو مورو – "John Andrew Morrow" (إلياس إسلام)**: ولد في مدينة مونتريال – Montreal بكندا عام ١٩٧١م، نشأ في أسرة مسيحية كاثوليكية، ثم اعتنق الإسلام في السادسة عشرة من عمره، وبعد ذلك اتخذ اسم (إلياس عبد العليم إسلام)، حصل على شهادة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه من جامعة تورونتو بكندا، ثم تخصص في الدراسات الإسلامية، ثم تابع دراسته في اللغة العربية في المغرب والولايات المتحدة، وله عديد من المؤلفات في الدراسات الإسلامية. **نقلًا عن**: موقع جامعة تورينتو بكندا [https://www.utoronto.ca].

والأسلوب والشكل، بالرغم من أنها مرت على طوائفَ دينيةٍ مختلفة، وبالتالي فإن هذه العهود صادرة عن مصدر واحد، وهناك أبحاث تقدم تفسيراتٍ أكثرَ شمولاً عن سبب عدم وجودها في المصادر الإسلامية بصيغها الأصلية، كتلك الأبحاث التي قام بها الدكتور "جون أندرو مورو – John Andrew Morrow"(٣٨)، الذي قام بتوثيق العهود التي عقدها النبي ﷺ مع مختلف الطوائف المسيحية في عصره، فقد جمع الكاتبُ هذه العهودَ من أديرةٍ ومجموعاتٍ وكتبٍ نَفِدَتْ طبعتُها في محاولة منه لإثبات صحتها من عدمه، وقد اعتمد جون أندرو مورو على وثيقتين – قد ثبت صحتهما– لمقارنتهما بالوثائق الأخرى، وهاتان الوثيقتان هما: وثيقة النبي ﷺ لمسيحيي نجران التي وُثّقت توثيقًا جيدًا في المصادر الإسلامية(٣٩)، ووثيقة النبي ﷺ للنصارى الآشوريين التي وجدت في كتابات تاريخية قديمة تتحدث عن تاريخ كنيسة المشرق الآشورية(٤٠) "The History of the Assyrian Church"(٤١)،

(٣٨) من الأعمال التي قام بها جون أندرو مورو في هذا الموضوع، **كتاب**: "عهود النبي محمد مع مسيحيي العالم - The Covenants of the Prophet Muhammad with the Christians of the World"، **وكتاب**: "ستة عهود للنبي محمد مع مسيحي عصره - Six Covenants of the Prophet Muhammad with the Christians of His Time"، **وكتاب**: "عهد النبي محمد مع رهبان طور سيناء - The Covenant of the Prophet Muhammad with the Monks of Mount Sinai"، وكتاب: "العهد النبوي على المسلمين لحماية المسيحيين - Prophet's Covenant Requires Muslims to Protect Christians".

(٣٩) ورد نص هذه الوثيقة في عدة مصادر منها: كتاب: **"الطبقات الكبرى"** لابن سعد (ت:٢٣٠هـ/٨٤٤م)، جـ١، صـ٢١٩؛ وكتاب **"الأموال"** لابن سلام (ت:٢٢٤هـ/٨٣٨م)، صـ٢٤٤-٢٤٥؛ وكتاب: **"السنن الكبرى"** للبيهقي (ت:٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، جـ٩، صـ١٩٥.

(٤٠) **"كنيسة المشرق الآشورية"**: هي كنيسة مسيحية شرقية تأسست في القرن الأول الميلادي في مناطق آشور وبابل وبلاد فارس (العراق وغرب إيران حاليًا)، وانتشرت لاحقًا في مناطق واسعة من آسيا، وكانت هذه الكنيسة تعرف أيضًا باسم: "الكنيسة النسطورية". للمزيد حول هذا الموضوع، **يُنظر**: أثناسيوس المقاري: الكنائس الشرقية وأوطانها (كنيسة المشرق الأشورية)، مكتبة المنار، مصر، ٢٠٠٠م.

(41)**William Chauncey**: The Oldest Christian People (The History and Traditions of the Assyrian People and the Fateful History of the Nestorian

وقد انتهى الكاتب إلى أن هذه المقارنة أتاحت مزيدًا من الوضوح في تحديد صحة العهود وحجيتها، وأن رفض العهود رفضًا قاطعًا باعتبارها غير صحيحة لم يعد مقبولًا(٤٢)، وقد علق الكاتب الأمريكي تشارلز أبتون – Charles Upton في إحدى المؤتمرات المهتمة بمقارنة الأديان على هذه الوثائق بقوله: "قد نشهد بشكل غير متوقع في هذا التاريخ المتأخر للغاية ظهور مصدر أساسي ثالث للإسلام بعد القرآن الكريم والحديث الشريف"(٤٣)، يقصد هذه الوثائق الإسلامية التي وجدت في الكنائس والأديرة المسيحية.

بينما يرى آخرون أن هذه العهود مزورة وغير صحيحة، وهذا ما ذهب إليه المستشرق السويسري بوركهارت – Burckhardt (١٧٧٣-١٨٢٥م)، وقد برر هذا بقوله: "لا أحد من مؤرخي محمد الذين دونوا كل معاملاته اليومية نصَّ على أنه زار جبل سيناء سواء في شبابه أو بعدما أصبح نبيًّا"(٤٤)، ولكن يبدو أن المستشرق السويسري قد نسي أن حياة النبي محمد ﷺ قبل البعثة تكاد تكون مجهولة ولا يعرف عنها الشيء الكثير، فعند بلوغ النبي ﷺ سن الأربعين، كان

Church), The Macmillan Company, New York, 1926, p.10.

(٤٢) **جون مورو (إلياس إسلام)**: عهود النبي محمد لمسيحيي العالم، صـ١٢٤.

(٤٣) ألقى الكاتب الأمريكي تشارلز أبتون - Charles Upton بحثًا تحت عنوان: " An Offering of the Covenants of the Prophet Muhammad in the 21st Century – عرض عهود النبي محمد ﷺ في القرن الواحد والعشرين"، خلال انعقاد **مؤتمر أديان العالم** في دورته السابعة في الأول من نوفمبر عام ٢٠١٨م، وكان هذا المؤتمر تحت عنوان: "السعي نحو التفاهم العالمي والمصالحة والتغيير"، وينعقد هذا المؤتمر سنويًّا في مدينة تورنتو - Toronto بكندا، وهو أقدم وأكبر فعالية عالمية للحوار بين الأديان وأكثرها تنوعًا وشمولًا، ويحضر المؤتمر سنويًّا الكثير من الباحثين والمهتمين بهذا الموضوع منهم.

(٤٤) **Burckhardt**: Travels in Syria and in the Holy Land, John Murray, London, 1822, p.546.

أغلب من رافقه في طفولته قد توفوا، وباستثناء رهبان جبل سيناء، فلا أحد بإمكانه أن يتقدم كشاهد على الأحداث المبكرة التي ميزت تلك الفترة(٤٥).

وكان الشخص الأكثر اعتراضًا على صحة العهود النبوية هو المستشرق الفرنسي كلود كاهن – Claude Cahen (١٩٠٩-١٩٩١م)، الذي اعتبر العهد النبوي على حد قوله: "عبارة عن تزوير من وضع رهبان المذهب النسطوري في القرن التاسع الميلادي، وكان القصد منه التعبير عن مشاعر ورع كاذبة"(٤٦)، وهذا الرأي غيرُ المستَنِدِ على أي دليل قُبِل به بطريقة عمياء من قبل بعض المستشرقين، على الرغم من أن بعض هذه العهود قد احتفظ بها مصدر مهم ينتمي للمسيحية الشرقية، وهو كتاب: "**تاريخ النساطرة** – The History of the Nestorians"(٤٧)، وإن تقليد مثل هذه الآراء من قبل بعض المستشرقين بطريقة ببغاوية دون بحث لا يضيف أي شيء للنقاش الأكاديمي العلمي، ولا يسهم بأي حال من الأحوال في الرفع من مستوى المعرفة بالموضوع(٤٨).

ونستنتج من هذا أن اتجاه المستشرقين لإثبات عدم صحة عهود النبي ﷺ لنصارى زمانه كان له أسبابٌ عدة، يمكن تصنيف هذه الأسباب في فريقين من المستشرقين:

---

(٤٥) **جون مورو (إلياس إسلام)**: عهود النبي محمد لمسيحيي العالم، صـ١٢٨-١٢٩.

(٤٦) **كلود كاهن:** مذكرة حول قبول المسيحيين الشرقيين للإسلام، مجلة تاريخ الأديان، فرنسا، ١٩٦٤م، صـ١٦٦؛ **Claude Cahen**: Note on the reception of Eastern Christians to Islam, Journal of the History of Religions, France, 1964, p.166.

(٤٧) **"تاريخ النساطرة - The History of the Nestorians"**: مخطوطة مجهولة المؤلف وجدت في إحدى الكنائس النسطورية، قام بتحقيق هذه المخطوطة وإعادة نشرها المطران الفرنسي "أدي شير- Addai Scher" في باريس عام (١٩٠٧م)، ثم قام بترجمتها إلى العربية **"الأب يوسف توما"** ونشرها ضمن منشورات معهد التراث الكردي بمدينة السليمانية بالعراق سنة (٢٠١٠م).

(٤٨) **جون مورو (إلياس إسلام)**: عهود النبي محمد لمسيحيي العالم، صـ١٨٧.

الفريق الأول: فئة من المستشرقين ينفُون صحة هذه العهود ويصفونها بأنها مزورة، ويتهمون المسلمين باختلاقها وابتداعها؛ وذلك لأنهم رأَوْا في هذه العهود سماحةَ الإسلام في التعامل مع الآخر، ورأَوْا كذلك من خلال الأحداث التاريخية المتعاقبة أن المسلمين التزموا بما جاء في هذه العهود، ذلك لأن معاملة المسلمين للمسيحيين بالحسنى كانت تتعارض مع مصالحهم وتلك الصورة التي أرادوا ترويجها عن الإسلام ومبادئه، فهم لا يريدون قبول أي صورة إيجابية عن الإسلامِ والنبيِّ محمد ﷺ.

الفريق الثاني: وهم جماعة من المستشرقين يتهمون الرهبان الذين يؤيدون صحة هذه الوثائق بتلفيقها(٤٩)، إما للحصول على امتيازات من قبل الحكومات الإسلامية المتعاقبة في القرون الأولى، مثل الحماية وبناء الكنائس وإعادة ترميمها والحصول على بعض الإمدادات والأموال، وإما لتصوير بعض أعمال الفتوحات الإسلامية على أنها مخالفة وناقضة لهذه العهود.

➢ وبين هذا وذاك، يرى الباحث أن هذه العهود والمواثيق –وإن لم يرد معظمها في المصادر الإسلامية– لم تخالف ما جاء به القرآن الكريم، ولم تخالف أيضًا ما كان يوصي به النبي ﷺ أصحابه في التعامل مع غير المسلمين، وما ثبت في أفعال النبي ﷺ والمسلمين من بعده في التعامل مع شعوب البلدان المفتوحة، وأن عهد النبي ﷺ لنصارى نجران ومن قبله عهده إلى يهود المدينة –اللذين ثبت صحتهما

(٤٩) إن القول بتلفيق الرهبان لهذه الوثائق هو كلام ينم عن الجهل؛ فلم يكن باستطاعة أحد أن يكون قد أصدر مثل هذه العهود إلا من كان متشربًا للثقافة الإسلامية، خاصة أن هذه العهود مليئة بتلميحات من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأحداث تاريخية محددة، إذ يبدو أنه من المستحيل تمامًا أن تكون لدى أي مسيحي من ذلك العصر القدرة على ابتداع مثل هذه المواثيق، بالإضافة إلى أن هذه الطوائف المسيحية كانت متصارعة، ولم يكن لها أي تواصل فيما بينها، فكيف حصل أنها جميعًا تملك عهودًا نبوية متشابهة، وتصل إلى حد التطابق في بعض الحالات. **جون مورو (إلياس إسلام)**: المرجع نفسه، صـ١٢٨-١٢٩.

في المصادر الإسلامية– كانا يتضمنان نفس بنود الوثائق الأخرى التي وجدت في الكنائس والأديرة، وأن هذه العهود وافقت ما جاء به الإسلام من القيم والمبادئ التي تحكم سلوك المسلم في تعامله مع غير المسلمين، هذه القيم التي تقوم على أساس العدل، والإحسان، والرحمة، والتسامح، والتعايش السِّلميّ، حتى وإن ثبت اختلاق المسلمين لهذه العهود، فهم بذلك يقدمون صورة إيجابية عن تسامح الإسلام وإنسانية الحضارة الإسلامية، أما فيما يخص اتهام الرهبان باختلاق هذه العهود للحصول على بعض الامتيازات، فإن الرهبان لم يكونوا بحاجة إلى ذلك، حيث كان بإمكانهم ببساطة أن يستشهدوا بالحقوق الواجبة لهم من خلال نصوص القرآن والحديث التي ضمنت لهم هذه الحقوق.

المبحث الأول

رؤى المستشرقين حول الأثر الديني لعهود النبي ﷺ ومواثيقه

كان الهدفُ الدينيُّ -وما زال- أهمَّ ما عُنِي به المستشرقون حتى اليوم في كتاباتهم عن الإسلام، وقد حَرَصَ كثير منهم على دراسة بعض جوانب الحضارة الإسلامية من الناحية الدينية، وكانت عهود النبي ﷺ ومواثيقه من الموضوعات التي تناولها المستشرقون من هذه الناحية، منهم من أدى به إنصافه إلى بيان الحقيقة، ورأى أن هذه العهود كان لها أثر كبير في تحقيق نوع من أنواع الأخوة الدينية التي تقوم على أساس العقيدة، وكذلك تحقيق التسامح الديني بين المسلمين وغير المسلمين، ومنهم من تعمد التشويه والتزييف لهذه العهود واعتبر أن الهدف منها كان فرض الدين الإسلامي على كافة الأديان الأخرى، أو إكراه أصحابها على الدخول في الإسلام، أو التخلص منهم.

من المعلوم أن المجتمع الإسلامي في المدينة كان مجتمعًا دينيًّا برئاسة النبي ﷺ، وكان اعتماده ﷺ على الوحي وما يأتي معه من أوامرَ ونَوَاهٍ، وكان هذا المجتمع يقوم على أساس إحلال الوحدة الدينية الإسلامية محلَّ العصبية القبلية السائدة في المجتمع في ذلك الوقت؛ مما جعل الكثير من القبائل يدخلون في طاعة النبي محمد ﷺ منذ قدومه المدينة(٥٠)، ومع أن العهود والمواثيق التي أقرها النبي ﷺ بين أطياف المجتمع في المدينة لتحقيق التسامح الديني بين المسلمين بعضهم مع بعض، وبين المسلمين من جهة واليهود من جهة أخرى، إلا أن المستشرقين أثاروا

(٥٠) **حسين الحاج حسن**: النظم الإسلامية، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٧م، صـ٢٨-٢٩؛ **حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن**: النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، صـ٢.

حولها الشبهاتِ؛ وما ذلك إلا ليُهَوِّنوا من شأن هذه العهود في تحقيق الأخوة الدينية، ولِيَحْتَقِروا مُنجزاتِها التي قدَّمتها للمجتمعات في ذلك الوقت.

- **العهود وتحقيق مبدأ "الأمة الواحدة":**

كان الهدف الديني لعهود النبي ﷺ ومواثيقه هو تكوين **أمة واحدة**(٥١) تقوم على أساس ديني وهو عبادة الله الواحد، وكانت هذه الأمة تتكون من مسلمين وغير مسلمين كما نصت عليه بنود الوثيقة التي عقدها النبي مع أهل المدينة، إلا أن المستشرقين قد فسروا هذه البنود تفسيرًا يعكس تلك الفكرة المسبقة التي أرادوا إثباتها عن الإسلام، وصوروا تلك الوثيقة على أنها تقليدٌ لما كانت عليه القبائل العربية قبل الإسلام، وأن النبي ﷺ لم يأتِ بجديد، فهذا المستشرق الأمريكي فريد دونر – **Fred Donner يقول:** "على الرغم من أنه يُقال عادةً إن الأمة تختلف عن القبيلة في أنها تقوم على روابطَ دينيةٍ لا قرابة، إلا أنه يبدو واضحًا أن فكرة الروابط الدينية بين الجماعات القبلية لم تكن غريبة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام"(٥٢).

وقال في موضع آخر: "قد تشارك عدة قبائل مختلفة في عبادة مشتركة، وكانت حالة ارتبط فيها أفراد القبائل المختلفة ببعضهم البعض على أساس الانتماء الديني"(٥٣).

---

(٥١) يتجلى مبدأ "**الأمة الواحدة**" في البند الأول من نص الوثيقة النبوية التي سجلها النبي ﷺ بين مواطني المدينة على اختلافهم، فقد ورد ما نصه: "هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم **أمة واحدة** من دون الناس". **ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب**: السيرة النبوية = سيرة ابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، جـ٣، صـ٣٢.

(52) "Although it is usually stated that the umma differed from the tribe in that it was based on ties of religion rather than of kinship….". **Fred Donner**: The Early Islamic Conquests, Princeton University Press, USA, 1981, p.56.

(53)"different tribes might participate, cult associated, although we might

واستكمالا لهذه الفكرة يقول مونتغمري وات: "تم التوحد فيما بين القبائل عن طريق اتفاق، وهناك حالات كثيرة مثل هذه في التاريخ قبل الإسلام بقيادة أناس يمتلكون سماتٍ شخصيةً مميزةً"(٥٤)، بل إن المستشرق برنارد لويس ذهب إلى أبعدَ من ذلك؛ حيث وصف وثيقة المدينة بأنها كانت تطورًا لعادات الجاهلية والنظام القبلي(٥٥).

ويتضح من هذه النصوص منهج الالتفاف الذي تَعَوَّد عليه بعض المستشرقين في حديثهم عن منجزات الحضارة الإسلامية، ويظهر هذا المنهج في هذه النصوص التي أرادوا بها تصوير عهود النبي وفكرة الأخوة الدينية التي تبنتها هذه العهود على أنها تقليدٌ لما كانت عليه القبائل من قبل، وبذلك يكون هذا الهدف غير حقيقي في إبرام العهود، وكان مجرد أمر ظاهري لأهداف أخرى باطنة، وقد تناسى هؤلاء المستشرقون ما كانت عليه القبائل في الجزيرة العربية عامة وفي مكة والمدينة خاصة قبل الإسلام من تناحر وتصارع وتنافس على الموارد والأراضي والزعامة، وعلى **سبيل المثال**(٥٦): حرب الفِجَار(٥٧) التي نَشِبَتْ بين قبيلة كنانة –ومنها قريش–

---

hesitate to see in such an association a true "community". **Donner**: The Early Islamic Conquests, p.56.

(٥٤) **مونتجومري وات**: محمد النبي ورجل الدولة، ترجمة: محمود حمود، دار التكوين، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ/١٩٥٤م، صـ١٢٢.

(٥٥) **برنارد لويس:** العرب في التاريخ، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومحمود يوسف زايد، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٥٤م صـ٥٥.

(٥٦) **لمزيد من التفاصيل حول التصارع القبلي في الجزيرة العربية قبل الإسلام، يُنظر: جواد علي**: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، جـ٥، صـ٤٠٣ وما بعدها.

(٥٧) **حرب الفِجَار:** سميت بالفجار لأنها وقعت في الأشهر الحرم التي كانت فيها الحرب محرمة، وكان عمر النبي ﷺ في ذلك الوقت عشرين سنة. **يُنظر**: **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين**: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، جـ٢، صـ٢٦٨؛ **ابن كثير**، أبو الفداء إسماعيل ابن عمر القرشي: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر، القاهرة، د.ت، جـ٢، صـ٢٨٩.

وقبائل قيس عيلان، وحرب داحس والغبراء[٥٨] التي كانت بين قبيلتي عبس وذبيان، وحرب البَسُوس[٥٩] التي كانت بين قبيلتي تغلِب وبكر بن وائل، وحروب الأوس والخزرج[٦٠] التي استمرت في المدينة المنورة لمدة مائة وأربعين عامًا قبل الإسلام.

والناظر لهذه الأحداث التي مرت على الجزيرة العربية يجد أن هذه الفترة تميزت بسيادة النزعة القبلية، حيث كان الانتماء للقبيلة هو الهُوية الأساسية للفرد ودافعًا قويًّا للدفاع عنها وحمايتها[٦١]، أي أن الانتماء الديني لم يكن موجودًا قبل الإسلام، وإنما كان انتماءً قَبَلِيًّا، بخلاف ما نصت عليه عهود النبي ﷺ التي دعت إلى الانتماء إلى "الأمة الواحدة"، وأكدت هذه العهود أيضًا على ضرورة الترابط الديني فيما بين أطراف المجتمع؛ فقد أبطلت هذه العهودُ ما كان بين القبائل قبل الإسلام من حروب ونزاع، وأراد النبي ﷺ أن يجعل المدينة وطنًا واحدًا للعرب واليهود، وأن يجعل من الفريقين أمة واحدة تجمعها جامعة الوطن ولا يفرق بينها اختلاف في الدين.

---

(٥٨) **حرب داحس والغبراء:** هي حرب من حروب الجاهلية وقعت بين قبيلتي عبس وذبيان، وهما فرعان من قبيلة غطفان، استمرت الحرب لمدة أربعين عامًا تقريبًا، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى فرسين اشتركا في سباق أدى إلى اندلاعها، "داحس" هو اسم حصان، و"الغبراء" اسم فرس. يُنظر: **المسعودي**: مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٢، صـ١٠١؛ **ابن كثير**: البداية والنهاية، جـ٣، صـ١٥٥.

(٥٩) **حرب البَسوس:** حرب دارت بين قبيلتي تغلب وبكر من ربيعة، بعد مقتل كليب بن ربيعة على يد ابن عمه جساس بن مرة، استمرت الحرب لعقود طويلة. يُنظر: **المسعودي**: مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٢، صـ١٠١.

(٦٠) **حرب الأوس والخزرج:** مجموعة من المعارك الطويلة وقعت بين قبيلتي الأوس والخزرج في يثرب قبل الإسلام، انتهت هذه الحروب بدخول القبيلتين في الإسلام وهجرة النبي ﷺ إلى المدينة. يُنظر: **المسعودي**: مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٢، صـ١٠١.

(٦١) **عبد المتعال الصعيدي:** السياسة الإسلامية في عهد النبوة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، د.ت. صـ٥٦.

- **العهود والحرية الدينية:**

أرسى الإسلام مبدأ الحرية الدينية وكفلها للناس بصورة لم تعهدها الإنسانية قديمًا أو حديثًا، يقول ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وتأكيدًا لهذا الأمر الإلهي شرع النبي في إبرام العهود والمواثيق لضمان تحقيق هذا المبدأ، إلا أن المستشرقين أثاروا الشبهاتِ حول هذا المبدأ وحاولوا تصوير هدف النبي من إبرام هذه العهود على أنه كان سعيًا نحو السيطرة الدينية، وهو ما ذهب إليه المستشرق برنارد لويس في قوله: "كان هدف النبي المباشر والخارجي من وراء دبلوماسيته بعد الهجرة هو بسط نفوذه للقضاء على نفوذ قريش"(٦٢).

وفي هذا السياق يقول ألفريد دونر: "كان صعود محمد إلى السلطة في المدينة المنورة بسبب نضاله لتثبيت حكمه في وجه معارضة قوية مقيمة في المدينة، وأبرزها عشائر قينقاع والنضير وقريظة اليهودية، وقد تمكن في النهاية من ترسيخ سيطرته على المدينة المنورة، ولكن فقط على حساب نفي العشائر الأولى والثانية وتصفية آخر العشائر اليهودية بعد رفض محاولات سابقة لكسب دعمهم"(٦٣).

وهذا بالطبع أمرٌ تَنْفِيهِ كلُّ الشواهد التاريخية قولاً كان أو فعلاً، فمن الشواهد التاريخية التي تنفي هذه الشبهة تلك المعاهدة التي عقدها النبي مع نصارى نجران، فقد جاء نصارى نجران إلى النبي وأرادوا التقرب منه، وأبدوا رغبتهم في الانضمام إلى مبدأ "**الأمة الواحدة**" التي نصت عليه عهود النبي ﷺ، إلا أنهم رفضوا اعتناق

(٦٢) **برنارد لويس:** العرب في التاريخ، صـ٦٠.

(63)"Muhammad's rise to power in Medina….. but only at the cost of exiling the first two and liquidating the last of the Jewish clans after earlier attempts to secure their support had been rebuffed". **Fred Donner**: The Early Islamic Conquests, p.62.

الإسلام، ورغم ذلك استجاب النبي لطلبهم وكتب إليهم عهدًا أقر عليهم دينهم وضمن لهم حمايتهم، وقَبِلَ منهم تضامنهم كما بينته بنود هذه الوثيقة(٦٤)، فقد كانت هذه الوثيقة وثيقة دينية تضمنت الإبقاء على دين النصارى وعدم إكراههم للدخول في الإسلام، وأعطتهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية، وإدارة شؤونهم الخاصة(٦٥)، بل خاطبهم النبي ﷺ في هذه الوثيقة بصفتهم الدينية بقوله: "للذين أوتوا الكتاب من النصارى من كان منهم على دين نجران أو على شيء من نِحَلِ النصرانية"(٦٦).

كذلك ما نصت عليه العهود تجاه اليهود بأن لليهود دينَهم وللمسلمين دينَهم(٦٧)– عكس ما ذهب إليه المستشرقون– فضلاً عن كونها وثيقة دبلوماسية عسكرية تضمنت بنود التحالف والحماية العسكرية، أما فيما يخص الموقف العسكري تجاه القبائل اليهودية الذي أشار إليه المستشرق "ألفريد دونر" فكان هذا الموقف بسبب نقضهم لعهود النبي ﷺ –كما سيأتي ذكره–.

---

(٦٤) شملت الوثيقة على عدة بنود حملت في طياتها الحفاظ على الأرواح والممتلكات، فقد رُوِيَ عن محمد بن إسحاق أن النبي ﷺ كتب لعمرو بن حزم حين بعثه إلى نجران ما نصه: "بسم الله الرحم الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل نجران..... ولنجران وحاشيتهم جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم، وملتهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم، وشاهدهم، وبيعهم، وصلواتهم لا يغيروا أسقفًا عن أسقفيته، ولا راهبًا عن رهبانيته، ولا واقفًا عن وقفانيته، وكل ما تحت أيديهم من قليل، أو كثير وليس ربا". **أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم**: الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف، المكتبة الأزهرية، القاهرة، د.ت، صـ٨٤؛ **ابن سعد، محمد بن سعد البصري**: الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٩٠م، جـ١، صـ٢١٩؛ **البيهقي، أحمد بن الحسين**: السنن الكبرى، دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، جـ٩، صـ١٩٥.

(٦٥) من أمثلة العهود التي أبرمها النبي مع النصارى والتي نصت على حمايتهم وإعطائهم الحرية الدينية: عهود النبي مع نصارى أيلة، ونصارى جرباء، ونصارى أذرح. يُنظر: **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٥، صـ٢٠٦.

(٦٦) ورد ما نصه: "هذا كتاب أمان من الله ورسوله **للذين أوتوا الكتاب من النصارى من كان منهم على دين نجران أو على شيء من نحل النصرانية**، كتبه لهم محمد بن عبد الله رسول الله إلى الناس كافة ذمة لهم من الله ورسوله وعهدًا عهده إلى المسلمين من بعده". **John Morrow**: covenants of the prophet Muhammad with the Christians of his time, p.p. 24-25.

(٦٧) **ابن سلام**: كتاب الأموال، صـ٢٦٦؛ **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٣٤.

والأعجب من ذلك هو قول فئة أخرى من المستشرقين بأن نظام الأمة الواحدة كان نظامًا ظالمًا؛ حيث لم يكن يسمح بالانفصال عنه، وأن عقوبة الانفصال عنه هي الموت، وهذا ما ذهب إليه ألفريد دونر في قوله: "حتى اليهودي العربي، بل والأكثر من ذلك، عابد العُزَّى أو أي إله وثني آخر كان بإمكانه الانفصال عن جماعته الخاصة والانضمام إلى أخرى، ولكن بما أن الأمة الإسلامية كانت واحدة، فإن الانفصال عنها ولو سياسيًّا أثبت تهمة أخلاقية كاملة على الفرد وهي الردة، كما يبدو أنه حدث خلال حروب الردة بعد وفاة محمد"(٦٨).

والمعلوم أن حركة الردة(٦٩) التي حدثت في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ قد شكلت هذه تحديًا كبيرًا لهيبة الدولة الإسلامية، وكانت أول شرخ يصيب هذا المجتمع الموحد في إطار الدين الإسلامي، كما كانت المواجهة الأولى للخليفة أبي بكر ﷺ حين وضعت كفاءته أمام الامتحان الصعب، وعملت على إنهاء نفوذه على كثير من مناطق الجزيرة العربية(٧٠)، ولم تكن حروب الردة –التي كانت ردة فعل على هذه الحركة– إكراهًا لغير المسلمين لاعتناق الإسلام، وإنما كانت تأديبًا لمن كان قد أعلن إسلامه ثم امتنع عن أداء الفرائض؛ فكانت حروب الردة عملاً ضروريًّا لحماية الدولة الإسلامية الناشئة ودفاعًا عن الدين الإسلامي ضد المرتدين، على عكس ما ذهب إليه بعض المستشرقين أنه كان إكراهًا على الدين، ومثل هذا التعصب الديني نجده في كثير من كتابات المستشرقين عن سيرة النبي ﷺ، وهو

(68)"Even the Arabian Jew, and even more the worshiper of al-'Uzza or some other pagan deity, as appears to have happened during the ridda wars after Muhammad's death. **Fred Donner**: The Early Islamic Conquests, p.56

(٦٩) للمزيد حول حروب الردة، يُنظر: **الواقدي، محمد بن عمر**: كتاب الردة، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، صـ٤٨ وما بعدها.

(٧٠) **محمد سهيل طقوش**: تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، مصر، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، صـ٣١.

بالطبع أمر يخالف الحيادية العلمية، فإن الفكرة المسبقة التي جعلت الإسلام عدوًّا لهؤلاء أدت في النهاية إلى تتبعهم بعض النقاط التي تثبت اتجاههم وليس البحث عن الحقيقة.

وفي الجانب الآخر برزت بعض الأقوال الاستشراقية المنصفة إزاءَ الأثر الديني الذي حققته هذه العهود حيث يقول المستشرق الإيطالي فرانشيسكو كبرييلي: "تنطوي هذه الوثيقة على أهمية تاريخية وقانونية ولغوية، أعلن النبي ﷺ أن جميع سكان المدينة –المؤمنون والوثنيين واليهود– أمةٌ واحدة"(٧١).

وفي السياق نفسِه يقول المستشرق الروماني كونستانس جيورجيو: "نجد النبي ﷺ –وبكل رحابة صدر– يسمح لأصحاب الأديان الأخرى بالعيش جنبًا إلى جنب مع المسلمين في المدينة وعدم التعرض إليهم أو إجبارهم على الدخول في دينه، وهذا يدل على الحرية والمساواة"(٧٢).

ويقول كاهن كلود: "كان على محمد أن يوطد الوئام بين صحابته من المهاجرين وبين حلفائه المستجدين من سكان يثرب، فاستتبع ذلك مجموعة من العقود والمصالحات"(٧٣).

- **أثر العهود على أهل الذمة:**

فيما يخص أثر هذه العهود على طوائف أهل الذمة من أصحاب الديانات السماوية، قد ضمنت لهم هذه العهود الحماية والرعاية، وحفظت أنفسهم وممتلكاتهم وأموالهم وأعراضهم، وذلك امتثالا لأمر الله ﷻ في قوله: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ

(٧١) **فرانشيسكو كبرييلي**: محمد والفتوحات الإسلامية، ترجمة: عبد الجبار ناجي، المركز الأكاديمي للأبحاث، بغداد، ط١، د.ت، صـ١٥١.

(٧٢) **كونستانس جيورجيو**: نظرة جديدة في سيرة النبي، ترجمة: محمد التونجي، الدار العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، صـ١٩٣.

(٧٣) **كاهن كلود**: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، ترجمة: بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، ط١، ١٩٧٢م، صـ١٦.

لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]، وقال النبي ﷺ في أقباط مصر: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا»، أو قال: «ذِمَّةً وَصِهْرًا»(٧٤)، أي أن العهود أصبحت ضامنةً لهم؛ لأنهم قد أصبحوا في ذمة النبي ﷺ وذمة المسلمين من بعده، وذلك كما بينته بنود عهود النبي ﷺ ومواثيقه مع النصارى كافةً، **<u>وعلى سبيل المثال</u>**:

- **عهد النبي ﷺ لرهبان جبل الطور:** حيث ورد ما نصه: "وَلاَ يُغَيَّرُ أُسْقُفٌ من أُسْقُفِيَّتِهِ، ولاَ رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ، ولاَ جَلِيسٌ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، وَلاَ يُهْدَمُ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِ كَنَائِسِهِمْ، وَلاَ يَدْخُلُ شَيْءٌ مِمَّا لِكَنَائِسِهِمْ فِي بِنَاءِ مَسْجِدٍ وَلاَ مَنَازِلَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ نَكَثَ عَهْدَ اللهِ وَخَالَفَ عَهْدَ رَسُولِ اللهِ"(٧٥).
- **عهد النبيِّ ﷺ لنصارى فارس:** حيث ورد ما نصه: "عهد كتب لجميع الأمم النصرانية في الجهة الشرقية لجزيرة العرب وفارس أو داخلهما...، عليهم حماية هؤلاء القوم في دينهم وأموالهم، شرقًا وغربًا، برًّا وبحرًا؛ لأنهم في ذمة المسلمين"(٧٦).

---

(٧٤) **مسلم، أبو الحسين بن الحجاج**: صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: أيمن إبراهيم الزملي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. جـ٧، صـ١٩٠.

(٧٥) **جون مورو**: عهود النبي محمد لمسيحيي العالم، صـ٣٨٥؛ **John Moro**: Six Covenants of the Prophet Muhammad with the Christians of His Time, Angelico press, USA, 2015, p.12.

(٧٦) **جان أندرو مورو**: عهود النبي محمد لمسيحيي العالم، صـ٣٨٨؛ **John Moro**: Six Covenants of the Prophet Muhammad with the Christians of His Time, p.17.

- **عهد النبي ﷺ لنصارى نجران:** حيث ورد ما نصه: "ولنجران وحاشيتهم جوارُ الله، وذمةُ محمدٍ النبي رسول الله ﷺ على أنفسهم، وملتهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم، وشاهدهم، وبِيَعِهِم، وصلواتهم، لا يغيروا أسقفًا عن أسقفِيَّتِهِ، ولا راهبًا عن رهبانيته..."(٧٧).
- **عهد النبي ﷺ للنصارى الآشوريين:** حيث ورد ما نصه: "لهذه الأمة النصرانية الحماية، لا يَمَسَّ مسلمٌ شيئًا من ممتلكاتهم، ولا يُفْسِدْ شيئًا من أغراضهم، ولا ينتهكوا حرمةَ أيٍّ أحد في هذه الأمة..."(٧٨).

- **العهود كانت تأكيدًا لترابط الديانات:**

إن الهدفَ الدينيَّ من وراء هذه العهود والمواثيق هو تأكيدُ ترابط الديانات السماوية، واحترامُ معتقداتِهم في إقامة شرائعهم كما يظهر من بنود هذه العهود، إلا أننا نلاحظ في كثير من الكتابات الاستشراقية تعاملهم مع الديانات الرئيسية الثلاث كما لو كانت منفصلة ومتمايزة، ناهيك عن كونها متعارضة؛ لذلك يرى هؤلاء أن أي تشابه بين الإسلام وغيره من الديانات إنما يدل على تقليد الإسلام للديانات الأخرى، فحالات التشابه بدلاً من أن تكون عاملَ توحيد للديانات وتأكيدًا على وحدة منبعها ومصدرها، تحولت في المنهجية الاستشراقية إلى أدلة لإقناع اليهود والنصارى بالثبات على عقيدتهم من جانب، ومن جانب آخر إقناع المسلمين بالعودة للأصل الذي أَخَذَ عنه الإسلامُ أفكارَه(٧٩).

---

(٧٧) **أبو يوسف**: كتاب الخراج، صـ٨٤؛ **البيهقي**: السنن الكبرى، جـ٩، صـ١٩٥.

(٧٨) **جان أندرو مورو**: عهود النبي محمد لمسيحيي العالم، صـ٤٠٧؛ **John Moro**: Six Covenants of the Prophet Muhammad with the Christians of His Time, p.57.

(٧٩) للمزيد حول علاقة الإسلام بالديانة المسيحية واليهودية، يُنظر: **محمد إبراهيم الفيومي**: الاستشراق رسالة استعمار (تطور الصراع الغربي مع الإسلام)، دار الفكر العربي، القاهرة،

وفي الجانب الآخر قدم كثير من المستشرقين المعاصرين أدلةً وافرة على تشابك هذه المعتقدات المتعلقة بعبادة الإله الواحد، إلا أن هؤلاء قد فسروا هذا التشابه بأن الإسلام تقليد ونقل عما جاءت به المسيحية واليهودية، على الرغم من أن المنطق والموضوعية يقولان بأن هذا التشابهَ دليلٌ على صدق الإسلام وأنهم من نفس المصدر، وخلاصة هذه النظرية ما قاله أحد الكُتاب: "إن الفكرة المسبقة التي يؤمن بها المستشرقون في موضوع دراسة الأديان هي أن الإسلام مجرد تلفيقات من المسيحية واليهودية وغيرهما من الأديان"(٨٠).

بل إن بعضهم –وإن اعترف أن النبي ﷺ قد أبرم العهود والمواثيق من أجل إيجاد نوع من الوئام بين عناصره بمختلف انتماءاته– تمادى في هذا الوصف حتى ذكر أن النبي –من أجل تحقيق وحدة العقيدة– كان يستميل اليهود ويتنازل عن كثير من مبادئ رسالته من أجلهم، وعمل على تكييف شعائر الإسلام لتتفق مع شعائرهم، كما ذهب إلى ذلك المستشرق بروكلمان في قوله: "وتأثرت اتجاهات النبي الدينية في الأيام الأولى من مقامه في المدينة بالصلة التي كانت بينه وبين اليهود، وأغلب الظن أنه كان يرجو عقب وصوله إلى المدينة أن يدخل اليهود في دينه، وهكذا حاول أن يكسبهم من طريق تكييف شعائر الإسلام بحيث تتفق وشعائرهم في بعض المناحي"(٨١). بل ذكر أيضًا أن النبي ﷺ فعل مثل هذا مع النصارى وأراد استمالتهم عن طريق فريضة الصوم التي كانت عند النصارى(٨٢).

١٤١٣هـ/١٩٩٣م، صـ٣٣٧-٣٥٩.

(٨٠) **عبد الله محمد الأمين**: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، صـ٣٠.

(٨١) **كارل بروكلمان**: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٦٨م، صـ٤٦.

(٨٢) **بروكلمان**: المرجع نفسه، صـ٤٨.

وسلك هذه الطريقَ كذلك المستشرقُ إميل درمنغم، حيث قال: "كان على محمد أن يعاهد اليهود الكثيرين النافذين، فكان يصوم يومَ يصومون ويولي وجهه شطر بيت المقدس في الصلاة"(٨٣).

وفي السياق نفسه يقول المستشرق برنارد لويس: "ولما أدرك محمد أنه لن ينال مناصرة اليهود من هذه الجهة –أي تقليد شعائرهم– ترك فيما بعد الشعائر اليهودية التي قد اتخذها، وأضفى إلى عقيدته طابعًا عربيًّا قوميًّا"(٨٤).

أما المستشرق مونتغمري وات فلم يكتف بالإشارة إلى تشابه بعض الشعائر، بل زعم أن النبي ﷺ كان يريد صياغة الدين الإسلامي على شاكلة الديانة اليهودية، حيث قال: "بعد أن أراد محمد الرحيل إلى المدينة أراد أن يصوغ الإسلام على شاكلة أقدم الأديان، فكان تشريع صلاة الجمعة له أصل عبري"(٨٥)، كما فُرضت – برأيه أيضًا– صلاةُ الظهر مجاراةً للعادات اليهودية، حيث لم يكن يوجد في مكة سوى صلاتي الصبح والمغرب والقيام في الليل(٨٦)، وقال في موضع آخر: "من البديهي أن محمدًا قبيل الهجرة أو بعدها كان يميل لصياغة ديانته على شكل الديانة اليهودية، وتشجيع أتباعه في المدينة على الاحتفاظ بالطقوس اليهودية التي تبنوها"(٨٧).

ولعل ما دفع هؤلاء إلى هذا الاتجاه وقولهم إن النبي ﷺ حاول أن يكسب جانب اليهود والنصارى عن طريق تكييف الشعائر الإسلامية لشعائرهم، بعض الشعائر الدينية التي أقرها النبي ﷺ خلال تواجده في المدينة، والتي ربما أساءوا

(٨٣) **إميل درمنغم**: الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة، ترجمة: عادل زعيتر، دار الشعاع، مصر، ط٣، ٢٠٠٥م، صـ١٦٧.
(٨٤) **برنارد لويس:** العرب في التاريخ، صـ٥٥.
(٨٥) **مونتغمري وات**: محمد في المدينة، صـ٣٠٢.
(٨٦) **مونتغمري وات**: المرجع نفسه، صـ٣٠٤.
(٨٧) **مونتغمري وات**: المرجع نفسه، صـ٣٠٥.

فهمها وظنوا أن هذه الشعائر لإرضاء اليهود، ذلك إذا افترضنا حسن النية في أقوالهم وأنهم قد أخطؤوا الفهم ولم يتعمدوا تشويه الحقائق.

وللرد على هذه الشبهة يمكن القول: إن الإدارة الدينية للمجتمع الإسلامي كان يرأسها النبي ﷺ، وكان اعتماده ﷺ على الوحي وما يأتي معه من تكليفاتٍ وأوامرَ ونَوَاهٍ، وقد أراد النبي تحقيق الوئام والترابط بين عناصر المجتمع مع اختلاف دياناتهم، ولكنه لم يبدل شعائر الإسلام حتى يَرْضَى عنه اليهود –كما يدعي بعض المستشرقين– فعلى سبيل المثال: فريضة الصيام التي زعم المستشرقون أن النبي ﷺ قد شرعها لاستمالة اليهود والنصارى، هي في حد ذاتها من العبادات المتعارف عليها بين الموحدين على امتداد الرسالات السماوية، يقول ﷻ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣]، أما فيما يخص صيام يوم عاشوراء فهو سنة شرعها النبي ﷺ لأمته؛ لأن النبي ﷺ رأى أنه أولى بنبي الله موسى عليه السلام من اليهود، بل إن النبي كان عارفًا بصيام يوم عاشوراء قبل قدومه المدينة واتصاله باليهود، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانت قريش تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية، ثم أمر رسول الله ﷺ بصيامه حتى فرض رمضان فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ شَاءَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ»(٨٨)، أي أن صيام عاشوراء كان مشروعًا في العهد المكي وقبل اتصال النبي بيهود المدينة.

أما فيما يخص صلاة الجمعة التي زعم مونتغمري وات أنها ذات أصل عبري وأنها تقليدٌ ليوم السبت عند اليهود، هي في الأساس قد شُرعت لمخالفة اليهود، فقد روي أن مصعب بن عمير رضي الله عنه لما أرسله النبي ﷺ إلى المدينة ليفقه

(٨٨) **البخاري، محمد بن إسماعيل**: صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، جـ٢، صـ٦٧٠.

أهلَها في الدين، ويقرئهم القرآن، طلب مصعب بن عمير من النبي ﷺ أن يحدد لهم يومًا يجتمع فيه بجميع مسلمي المدينة، فقال له النبي ﷺ: «انظر قبل اليوم الذي يجهر فيه اليهود لسبتهم، فإذا زالت الشمس فازدلفْ إلى الله فيه بركعتين واخطبْ فيهم، فَجَمَّعَ بهم مصعب بن عمير في دار سعد بن خيثمة وهم اثنا عشر رجلاً، فهو أول من جَمَّعَ في الإسلام جمعة"(٨٩)، بالإضافة إلى أن مشروعية صلاة الجمعة مخالفة تمام المخالفة لما عند اليهود؛ فيوم السبت عند اليهود ظاهرة اجتماعية لا يقومون فيه بأي أعمال، بينما صلاة الجمعة ظاهرة دينية لا تتوقف الأعمال في يوم الجمعة إلا لأداء الصلاة، يقول ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠](٩٠).

وفيما يخص قول مونتغمري وات بأن النبي ﷺ فرض صلاة الظهر مجاراة للعادات اليهودية، حيث لم يكن يوجد في مكة سوى صلاتي الصبح والمغرب، فإن الرواياتِ الإسلاميةَ تؤكد أن الله ﷻ فرض الصلواتِ الخمسَ بعد رحلتي الإسراء والمعراج(٩١)، أي أن الصلوات الخمس فرضت خلال الفترة المكية وقبل اتصال النبي بيهود المدينة.

وفي جانب آخر ذكر المستشرق كلود كاهن أن النبي لم يشرع في هذه العهود من أجل الترابط الديني، وإنما كان يسعى لتحقيق مكسب سياسي غير معلن عن طريق تحقيق وحدة العقيدة، حيث قال: "كانت أوجه الوفاق بين القرآن والتوراة بسبب تلك المحاورات التي كان محمد وأصحابه يحاورن بها العامة من يهود

(٨٩) **ابن سعد**: الطبقات الكبرى، جـ٣، صـ٨٧.
(٩٠) **عمر فروخ**: تاريخ الشعوب الإسلامية (كارل بروكلمان)، هامش صـ٤٦.
(٩١) **البخاري**: صحيح البخاري، جـ٣، صـ١١٧٣؛ **البيهقي**: دلائل النبوة، جـ٢، صـ٣٥٥.

يثرب، وكان محمد يرغب في أن يناصره يهود المدينة، ولما تبدد هذا الأمل أخذهم بمزيج من العنف عن طريق القتال والتهجير"(٩٢).

ومما يؤكد هذه النظرية التي سعى كاهن إلى إثباتها قوله: "كان على محمد أن يوطد الوئام بين صحابته من المهاجرين وبين حلفائه المستجدين من سكان يثرب وألا يغفل رسالته الدينية، فاستتبع ذلك مجموعة من العهود والمصالحات، وكان يتعين عليه تحقيق وحدة العقيدة"(٩٣).

ولا غرابة في موقف بعض المستشرقين العدائي تجاه عهود النبي ﷺ ومواثيقه مع النصارى واليهود، خاصة إذا علمنا موقف هؤلاء من علاقة الديانة الإسلامية نفسها بالديانتين المسيحية واليهودية، ويمكن الرد على هذه الادعاءات بأن الله ﷻ قد بعث رسله لدعوة الناس لعبادته وحده، وجميع هؤلاء الرسل من لدن آدم عليه السلام حتى محمد ﷺ كان دينهم الإسلام، وأكد الله ﷻ هذه الحقيقة في كتابه الكريم في كثير من الآيات(٩٤)، وقد بعث الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ ليكون خاتم النبيين جميعًا، ويكون الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لجميع خلقه، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ **الْإِسْلَامِ** دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضعَ لَبِنَةٍ من زاوية من زواياه، فجعل الناس

(٩٢) **كاهن كلود**: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، صـ١٧.

(٩٣) **كاهن كلود**: المرجع نفسه، صـ١٦.

(٩٤) يقول تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ **الْمُسْلِمِينَ**﴾ [يونس: ٧٢]، وعن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ **أَسْلِمْ** قَالَ **أَسْلَمْتُ** لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وعن موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ **مُسْلِمِينَ**﴾ [يونس: ٨٤]، وعلى لسان الحواريين لعيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا **مُسْلِمُونَ**﴾ [المائدة: ١١١]، وعلى لسان ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي **وَأَسْلَمْتُ** مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وعن يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي **مُسْلِمًا** وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ **الْإِسْلَامُ**﴾ [آل عمران: ١٩].

يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فكنت فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين"(٩٥).

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى ببعثة النبي ﷺ في التوراة والإنجيل، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، لذلك فإن اليهود والنصارى كانوا على علم بمبعث النبي ﷺ، فقد كان اليهود قبل بعثة النبي ﷺ إذا حدث خلاف بينهم وبين أهل المدينة يقولون لهم: "إنه تقارب زمن نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم"(٩٦)، كذلك النصارى كانوا على علم بمبعث النبي ﷺ كما ورد في قصة إسلام سلمان الفارسي ﷺ(٩٧)، وبالرغم من تيقنهم من صدق دعوى النبي ﷺ إلا أنهم آذَوْه وكذبوه، ولم يؤمن به منهم في بداية دعوته إلا القليل.

<u>وخلاصة القول في هذه الشبهة</u>: أن بعض المستشرقين أراد تشويه الأثر الديني لعهود النبي ﷺ ومواثيقه، إما عن طريق جعل هذا الأثر ظاهريًا فقط، وأن النبي ﷺ كان يخدع به من حوله لمكاسب سياسية، وإما عن طريق تزييف الشعائر الدينية التي أقرها النبي ﷺ بأمر من الله عن طريق تأويل هذه الشعائر بأنها كانت تقليدًا لأصحاب الديانات الأخرى طمعًا في قبولهم لإبرام العهود مع النبي ﷺ لكي يأمن

---

(٩٥) **مسلم**: صحيح مسلم، جـ٧، صـ٦٤.

(٩٦) يقول ابن اسحاق عن رجال من أهل المدينة، قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام أننا كنا نسمع من بعض رجال اليهود، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]. **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٢، صـ٣٧.

(٩٧) يحكي سلمان ﷺ قصة إسلامه ويقول إنه كان على مقربة من أحد أساقفة النصارى في بلاد الروم، فقال له الأُسْقُفُّ: "قد أظل زمان نبي وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرض بين حَرَّتَيْن، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل". **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٢، صـ٤٤.

جانبهم ويتفرغ لأعدائه القرشيين، ثم يعود إليهم مرة أخرى إما بالقتل والعنف مثلما فعل مع قبائل يهود بني قينقاع وبني النضير، وإما بالتهجير مثلما فعل مع يهود بني قريظة –على حد وصف المستشرق ألفريد دونر–[٩٨]، وهذه من الشبهات الواهية التي أثاروها حول الأثر الديني لعهود النبي ﷺ ومواثيقه؛ لأن النبي إنما أراد بهذه العهود تحقيق التسامح الديني والتعايش السِّلميّ بين كافة طوائف المجتمع، وقد أقر بذلك المنصفون منهم –وإن قلوا–، فالتعايش مع أهل الكتاب من أهم الأعمال التي شرع فيها النبي ﷺ فور وصوله إلى المدينة؛ ذلك لأنه عملٌ يُعَدُّ من صلب العقيدة الدينيَّة الإسلامية التي تعترف بالأديان السماوية وبكل الرسل والأنبياء.

- **العهود والنزعة الدينية لدى بعض المستشرقين:**

لا عجب في تأثير النزعة الدينية لدى بعض المستشرقين في تناولهم لعهود النبي ﷺ ومواثيقه مع أبناء مِلَّتِهِم؛ فقد برز الاستشراق في أول الأمر بسبب التأثير الإسلام في العالم الغربي، فكانت أهداف المستشرقين منذ نشأته لخدمة الكنيسة والاستعمار، خاصة إذا علمنا أن بعضًا من هؤلاء المستشرقين كان يعمل في وظيفة دينية رفيعة لدى الكنيسة، ومنهم من تلقى تعليمه في كلية اللاهوت – Trinity College في جامعة أكسفورد ببريطانيا، وهذا حال معظم المستشرقين الذين كانوا يتلقون دراستهم من الكليات الدينية بجانب عملهم في الدراسات الاستشراقية على سبيل المثال: همفري بريدو – Humphrey Prideaux، وجوزيف وايت – Joseph White، والكسندر نيكول – Alexander Nicole، وجورج برسي – George Percy، ووليام غيفورد بالغريف – William Gifford Palgrave، وقد قام بعضهم بترجمة القرآن الكريم مثلما فعل المستشرق رودويل الذي قام بترجمة القرآن الكريم وفقًا لما أسماه ترتيبًا تاريخيًّا لنزول الآيات، وكذلك

(98). **Fred Donner**: The Early Islamic Conquests, p.62

المستشرق جورج سيل الذي ألف كتاب "التطور التاريخي للقرآن" (١٨٩٨م)، وكذلك منهم من اهتم بتاريخ القرآن الكريم وبتطبيق النقد الأدبي في دراسته، ومن المؤكد أن تعاليم الكنيسة ومبادئها قد كان لها تأثير على كتابتهم أو اتجاههم إلى الدراسات الشرقية، خاصة أن هؤلاء كان يُوكل إليهم تدريس اللغة العربية وآدابها في هذه الكليات، بالإضافة إلى تدريس تاريخ المسلمين وآثارهم، مما نتج عنه ظهور كثير من الكتابات المختصة بمذاهب المسلمين، ومقارنتها مع المذاهب المسيحية، ولا شك أن بعض هذه الكتابات قد تجاوزت المنهج العلمي الموضوعي.

المبحث الثاني

رؤى المستشرقين حول الأثر الاجتماعي لعهود النبي ﷺ ومواثيقه

بدأ الإسلام بتطبيق القيم الحضارية داخل المجتمع منذ هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، وكان مبدأ التعايش بين أطياف المجتمع أول منجزات الحضارة الإسلامية في الناحية الاجتماعية، فقد حلَّت الأخوة الدينية بين كافة طوائف المجتمع المسلم محلَّ العنصرية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي(٩٩)، وقد جعل الله ﷻ ورسوله ﷺ لهذه الأخوة ما يقويها ويبقيها ويغذيها، يقول الله ﷻ: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** [الحجرات:١٠](١٠٠)، ويقول النبي ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»(١٠١)، وكما حَرَصَ النبي ﷺ على تحقيق أخوة دينية بين المسلمين من المهاجرين والأنصار – كما مر ذكره(١٠٢)– كذلك حرص على تحقيق أخوة اجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين يضمن من خلالها كسب إخلاصهم ومودتهم مع البقاء على دينهم، ولتحقيق هذه الغاية عقد النبي العهود والمواثيق وبيَّن فيها ما لهم وما عليهم، مثلما فعل مع يهود المدينة، والقبائل النصرانية في شمال وجنوب الجزيرة.

(٩٩) كان ميلاد المجتمع الإسلامي في قلب المجتمع العربي الكبير الذي شمل الجزيرة العربية وبعضًا من تخومها، الذي كان مزيجًا من المتناقضات الخلقية والعادات والتقاليد المتباينة، فبدأ النبي ﷺ بمعالجة الأوضاع الاجتماعية عند العرب بطريقة تدريجية، فأقر ما هو صالح منها، وعدَّل ما يتطلب التعديل، وأبطل ما رآه فاسدًا يتعارض وروحَ الإسلام ومبادءَه وآدابَه. **سعيد عاشور وآخرون**: تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفية الجامعية، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، صـ٢٥١.

(١٠٠) **صلاح الدين المنجد**: المجتمع الإسلامي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٣، ١٣٦٩هـ/١٩٧٦م، صـ٣٧.

(١٠١) **البخاري**: صحيح البخاري، جـ١، ص١٨٢؛ **مسلم**: صحيح مسلم، جـ٨، صـ٢٠.

(١٠٢) **يُنظر:** الأثر الديني لعهود النبي ﷺ ومواثيقه.

وعلى الرغم من أن هذه العهود والمواثيق كان لها أثر جلي داخل المجتمع، فإن وجهات نظر المستشرقين قد تباينت حول هذا الأثر، فمنهم من رأى أن هذه العهود قد حققت آثارًا اجتماعية قيمة داخل المجتمع العربي الذي يضم مسلمين وغير مسلمين، ومنهم من رأى أن هذه العهود لم تضف جديدًا على المجتمع ولم يكن لها أي آثار تذكر، بل أرادوا تصوير هذه العهود أنها كانت لمكاسب سياسية ولم يكن المقصود منها الوحدة الاجتماعية، وما ذلك إلا ليُهونوا من شأن هذه العهود ومنجزاتها التي قدمتها للمجتمعات العربية في ذلك الوقت، **وتفصيل ذلك كالتالي:**

- **العهود والمحافظة على بعض العادات الاجتماعية القديمة:**

من النصوص التي أقرت بالأثر الاجتماعي الذي حققته عهود النبي ﷺ ومواثيقه ما أورده المستشرق الإيطالي فرانشيسكو كبرييلي في قوله: "قد سعى النبي ﷺ جاهدًا إلى تنظيم العلاقة بين عناصر مجتمع المدينة (المسلمون – اليهود – النصارى[١٠٣])، موصيًا إياهم بالمحافظة على بعض المعايير السائدة في حقبة قبل الإسلام، مثل المسؤولية الجماعية تجاه القبيلة الواحدة في حالة الفداء، وإراقة الدماء"[١٠٤].

(١٠٣) لم تُشر الوثيقة بوضوح إلى وجود **نصارى** كجماعة منفصلة في المدينة وقت كتابتها، وذلك لأنها شملت الجميع من أهل يثرب بغض النظر عن دينهم بما فيهم المسلمون واليهود والنصارى والوثنيون، إلا أن المصادر التاريخية قد أثبتت أن النصرانية قد سلكت طريقها إلى الجزيرة العربية ومنها مكة والمدينة في وقت مبكر بعد الذي لقيته على أيدي اليهود والحكام الرومانيين من أساليب التعذيب والإذلال، فضلًا عن عوامل أخرى مثل التجارة خاصة تجارة الرقيق، والهجرات التبشيرية، ونستدل كذلك بوجود النصارى في المدينة وقت كتابة الوثيقة من قول حسان ابن ثابت: (فرحتْ **نصارى يَثْربٍ** ويهودُها **** لمّا تَوَارَى في الضَريحِ المُلحَدِ)، وكان الكثير من قبيلتي الأوس والخزرج في يثرب مسيحيين ينتسبون إلى الحارث بن ثعلبة من بني غسان. للمزيد حول وجود النصارى في بلاد العرب، **يُنظر**: **جواد علي**: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ١٢، ١٥٨، ١٦٤، ١٦٥؛ **لويس شيخو**: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٩م، جـ١، صـ١٠٩-١١٤.

(١٠٤) **فرانشيسكو كبرييلي**: محمد والفتوحات الإسلامية، صـ١٥١.

في هذا النص تناول المستشرق كبرييلي مثالاً لعهود النبي ﷺ ومواثيقه وهو عهد النبي مع سكان المدينة، وقد اعتراف كبرييلي أن هذا العهد كان له أثر في تنظيم العلاقة الاجتماعية بين عناصر مجتمع المدينة، وبالرغم من ذلك ذكر بعض المظاهر الاجتماعية التي وصفها بقوله: "**بعض المعايير السائدة في حقبة قبل الإسلام**"، مثل: فداء الأسرى، وإراقة الدم، ويقصد من هذا النص أن النبي حَرَصَ على تحقيق مبدأ التعايش السِّلميّ من خلال العهود، لكنه ظل محافظًا على بعض العادات القديمة.

ولكي يُفهمَ المرادُ من هذا النص لا بُدَّ من معرفة هذه العادات القديمة التي ظل النبي محافظًا عليها فعلى سبيل المثال: "**فداء الأسرى**" فقد أورد النبي في العهد الذي عقده مع أهل المدينة ما نصه: "**كل طائفة تفدي عانيَها**[١٠٥] **بالمعروف والقسط بين المؤمنين**[١٠٦]"، أي كل طائفة تفدي أسيرها، وهذا البند يشير إلى إبقاء نظام فك الأسرى كما كان في الجاهلية، فقد كان على رئيس القبيلة أن يسعى لفك من يقع من أبناء عشيرته أسيرًا في أيدي قبيلة أخرى، وأن يشارك قومه في تحمل الديات، حين يعجِز رجال القبيلة عن حملها، وعليه أن يعين أتباعه في كل جناية يجنونها، فهي وإن صدرت من غيره لكنها تقع في النهاية على رأس سيد القبيلة[١٠٧]، لذلك كان يُطلق عليه "**سيد معمم**"[١٠٨]، ويفهم من هذا البند أن كل قبيلة

(١٠٥) "**عانيها**": أي أسيرها، فالعاني هو الأسير، والكلمة مأخوذة من الفعل "**عنا**" أي: خضعَ وذلَّ، وذلك لما في الأسر من الخضوع والذل، ومنه قوله ﷻ: ﴿وعَنَتِ الوجوهُ للحيِّ القيُّوم﴾ [طه:١١١]، أي خضعت وذلت. **الجوهري**: الصحاح تاج اللغة، جـ٦، صـ٢٤٤٠؛ **ابن منظور**: لسان العرب، جـ١٥، صـ١٠١.

(١٠٦) **ابن سلام**: كتاب الأموال، صـ٢٦٠؛ **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٣٢.

(١٠٧) **جواد علي**: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ٤، صـ٣٤٨.

(١٠٨) تصف العرب رئيس القبيلة بـ"**سيد معمم**" يريدون أن كل جناية يجنيها أحد من عشيرته معصوبة برأسه. **الدينوري، عبد الله بن مسلم**: عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، جـ١، صـ٣٢٩.

تتحمل فك أسراها، خاصة أن هذا الأسر قد وقع قبل إبرام العهد، فوجب عليهم تحمل هذا الأمر حتى لا تقع أعباء ذلك على الآخرين.

وفيما يخص **إراقة الدماء** والمقصود بها هنا النصرة والمنعة ضد الأعداء، فقد أورد النبي ﷺ في العهد الذي عقده مع أهل المدينة ما نصه: "**وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم**"(١٠٩)، أي أنه على أهل هذا العهد أن ينصر بعضهم بعضًا ضد الأعداء، حتى لو كان المعتدي عليه من صغار القوم، ويفهم من هذا البند الإبقاء على نظام "**الإجارة**"(١١٠) الذي كان سائدًا في المجتمعات العربية قبل الإسلام، لكن الفرق في هذا النظام بعد الإسلام أن حق الجوار أصبح للجميع دون التفرقة بين السيد والأدنى، كذلك جعلت الإجارة مقيدة بشرط وليست مطلقة خاصة تجاه مشركي قريش(١١١) وهذا ما أورده النبي في هذه العهد بقوله: "**وأنه لا يجير مشركٌ مالاً لقريش ولا يعينها على مؤمن**"(١١٢)، أي أنه لا يجوز لأحد من أهل المدينة أن يجير قريشًا، وفي حالة الحرب يجب الامتناع عن مساعدتها بأي شكل من الأشكال، والخطاب هنا موجه لمن بقى على شركه من الأوس والخزرج، واليهود أيضًا، فهؤلاء لا يجوز لهم إجارة قريش أو الوقوف أمام تصدي المسلمين لها.

لذلك يمكن القول: إن من الآثار الحضارية التي حققتها عهود النبي ﷺ ومواثيقه من الناحية الاجتماعية هي تأكيد الترابط بين أبناء القبيلة الواحدة، بحيث تكون القبيلة مسؤولة عن كافة أفرادها، فلا ينسلخ أحد عن مسؤولياته تجاه

(١٠٩) **ابن سلام**: كتاب الأموال، صـ٢٦٠؛ **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٣٣.

(١١٠) **"الإجارة"**: كلمة مأخوذة من الفعل أجارَ، وهي المنعة وعدم الاعتداء، يقال: أجاره، أي حماه ومنعه من أن يُظلم، ومنه قوله ﷻ على لسان الشيطان: ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال:٤٨]، أي ناصر لكم. **ابن منظور**: لسان العرب، جـ٤، صـ١٥٤-١٥٥.

(١١١) **سعد عبود سمار**: الإجارة عند العرب قبل الإسلام وعصر الرسالة الإسلامية، المجلد: الأول، العدد: الثاني، السنة: ٢٠١٨م، صـ٩٧.

(١١٢) **ابن سلام**: كتاب الأموال، صـ٢٦٠؛ **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٣٣.

الآخرين، فيتحمل معهم فداء الأسرى، وديات القتلى، ونصرة المظلومين، ولتحقيق هذه القيمة الاجتماعية حرص النبي أن تضمنها عهوده ومواثيقه مع الآخرين، وهذا يدل على مرونة النبي في التعامل مع الآخر، ولا يضيره إن بقيَ على بعض العادات القديمة، ما دام في ذلك مصلحة للأفراد والمجتمع.

وهذا المستشرق فلهاوزن الذي وصف عهد النبي ﷺ مع أهل الكتاب بأنه "**القانون الذي ينظم الحياة العامة**"(١١٣)، فإن هذا النص من النصوص التي أنصفت عهود النبي واعترفت بهذا الأثر الاجتماعي الذي حققته عهود النبي ﷺ ومواثيقه، فقد جاء النبي ﷺ لإصلاح ذات البين بين أطياف المجتمع، والدعوة إلى نسيان ضغائنهم الماضية خاصة عادة "**الثأر**" وإشعال نيران الخلافات القديمة، هذه الأمور كانت من شأنها أن تهدد الدولة الإسلامية الناشئة، لذلك أولت عهود النبي اهتمامًا دقيقًا ومفصلاً لمسار استتباب السلم وإرساء علاقات الاستقرار بين القبائل، ونشر الأمن والسلام في المجتمع كما نصت عليه بنود عهود النبي فقد ورد ما نصه :"**ولا يتعاملون بأخذ الثأر كما كان حالهم في الجاهلية**"(١١٤).

ولأهمية هذه العهود في تحقيق الاستقرار المجتمعي بذل المنافقون من العرب واليهود كل ما في وسعهم من أجل إفشال دعوة النبي ﷺ إلى التعايش السِّلميّ، راغبين في العودة إلى عاداتهم القديمة وتصفية حساباتهم بحد السيف، لذلك أراد النبي ﷺ أن يقطع الطريق أمام هؤلاء أن يجددوا الخلافات بين قبائل الأنصار حقدًا وبغضًا لدعوة النبيﷺ، فهذا عبد الله بن أُبَيّ بن سلول كان قد اتفق مع قبائل الأوس

(١١٣) **يوليوس فلهاوزن**: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد أبو ريدة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩م، صـ١١-١٢.

(١١٤) **يُنظر: جون مورو**: عهود النبي محمد لمسيحيي العالم، صـ١٨١؛ **John Moro**: Six Covenants of the Prophet Muhammad with the Christians of His Time, p.26.

والخزرج أن يكون هو سيدهم، وكان هذا قبل الهجرة، ولما بايعوا النبي في بيعة العقبة ودخل عدد كبير منهم الإسلام أُلغيَ هذا الاتفاق بعد هجرة النبيﷺ، فحقد عبد الله بن سلول على النبي وأضمر له ولدعوته العداوة والبغضاء(١١٥)، لذلك أراد النبي أن يضع عهدًا يلتزم به الجميع حتى يقطع الطريق أمام عبد الله بن أبي بن سلول وغيره، وحتى لا تعود مثل هذه العادات إلى المجتمع الجديد.

- **العهود ضمنت المساواة والعدل بين أطياف المجتمع:**

أُرسل النبي ﷺ برسالة الإسلام إلى الناس كافة، وقد كانت بداية الدعوة في الجزيرة العربية التي تتكون من أجناس مختلفة ومعتقدات عدة، وفي ظل ذلك التنوع أراد الرسول ﷺ أن يؤسس دولة قوية يسودها السلام والتعاون والمشارَكة بين جميع أطيافها على مختلف مشاربهم، ومن هنا جاءت فكرة العهود والمواثيق –أو كان ذلك سببًا من أسبابها–، فقد أراد النبي من هذه العهود تحقيق مبدأ المساواة والعدل بين عناصر المجتمع، وألا يكون هناك فرق بين مواطنيها من حيث الدين أو العرق، كذلك حَرَصَت هذه العهود على توافق الحقوق والواجبات وتناسقها، إذ تضمنت حقوق الأفراد جميعًا في ممارسة الشعائر الدينية الخاصة، وحقوقهم في الأمن والحرية وصون أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ودور عبادتهم، وهذا ما نجده في نصوص عهود النبي مع أهل المدينة، وعهوده مع نصارى زمانه، وبالرغم من هذا الدور المهم الذي لعبته العهود والمواثيق في تحقيق العدل والمساواة داخل المجتمع، إلا أنها لم تسلم من أقلام المستشرقين وأثاروا حولها الشبهات، **<u>ومن هذه الشبهات ما يلي</u>:**

(١١٥) قال سعد بن عبادة ذات مرة للنبي ﷺ: "لقد أعطاك الله ما أعطاك، ولقد اجتمع أهل هذه البحيرة أن يتوجوه فيعصبوه -يقصد عبد الله بن أُبَيّ بن سلول- فلما رد ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك -أي غص وحقد- فذلك الذي فعل به ما رأيت". **البخاري**: صحيح البخاري، جـ٥، صـ٢١٤٣.

➢ **عهود النبي لم تُضِفْ شيئًا جديدًا:**

هذه شبهة من الشبهات التي أثارها المستشرقون، سواء قالوا ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ومثل ذلك ما ذهب إليه المستشرق مونتغمري واط في قوله: "كان اليهود موجودين في المدينة يسيطرون عليها قبل مجيء الأوس والخزرج إلى يثرب، وكان العرب تحت حماية اليهود كجيران وحلفاء"(١١٦)، وقال في موضع آخر: "لم يكن اليهودُ مصدرَ خطر على العرب"(١١٧)، وذكر المستشرق يوليوس فلهاوزن هذا المعنى في قوله: "إن هذه العهود التي أبرمها النبي مع أهل الكتاب كان معمولا بها في المدينة في أول الأمر"(١١٨).

في هذه النصوص نجد أن بعض المستشرقين أراد الانتقاص من دور هذه العهود في تحقيق التعايش السِّلميّ والتسامح بين كافة الأطراف، إما بتصوير الوضع الاجتماعي في المدينة على أنه كان مستقرًّا قبل الإسلام، فبتالي لم تضف العهود شيئًا جديدًا، وإما بالقول بأنه كان هناك عهود بين سكان المدينة قبل مجيء النبي ﷺ فلم يكونوا بحاجة إلى عهود النبي الجديدة، وهذا الأسلوب ليس بغريب على المستشرقين؛ إذ إنهم دائمًا كانوا ينظرون إلى إصلاحات النبي ﷺ الاجتماعية والسياسية، وكذلك فتوحات المسلمين من بعده على أنها لم تضف شيئًا جديدًا للمجتمعات الإسلامية ولا لشعوب البلدان المفتوحة.

أما قول مونتغمري واط بأن سكان المدينة كانوا تحت حماية اليهود قبل الإسلام، وأن اليهود لم يكونوا مصدرَ خطر عليهم، فلا بُدَّ من تفصيل الأمر حتى يتبين لنا مدى صحة هذا الحكم من عدمه، في البداية كان مجتمع يثرب –وهو الاسم

(١١٦) **مونتغمري وات**: محمد في المدينة، صـ٢٩٣.
(١١٧) **مونتغمري وات**: المرجع السابق، صـ١٩٨.
(١١٨) **يوليوس فلهاوزن**: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، صـ١١.

القديم للمدينة(١١٩)– يتكون من قبائل يهودية مثل: بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة(١٢٠)، وكانوا يعتنقون اليهودية وكان لهم نظام سياسي وديني واجتماعي خاص بهم، فضلاً عن تملكهم الكثير من الأراضي الخصبة والآبار، لذلك قاموا ببناء الحصون والقلاع في يثرب ليأمنوا فيها على أنفسهم(١٢١)، ولما قدم الأوس والخزرج(١٢٢) إلى يثرب ورأوا ما كان عليه اليهود من القوة والعدد والمال عقدوا معهم حلفاً يمتنعون فيه عمن سواهما(١٢٣)، وعلى الرغم من أن المصادر العربية قد أقرت بوجود هذا الحلف بين اليهود وقبائل الأوس والخزرج، إلا أنه لم يكن حلفاً بالمعنى المعروف، أو أنه لم يحقق مبدأ التعايش السِّلميّ مثلما حققته عهود النبي ﷺ ومواثيقه، **وذلك للأسباب التالية:**

السبب الأول: أن هذا الحلف لم يكن بين طرفين محددين، فقد تحالفت بنو قريظة وبنو النضير مع الأوس، بينما تحالفت بنو قينقاع مع الخزرج(١٢٤)، وهذا يدل على

---

(١١٩) **"يَثْرب"**: مدينة أرضها خصبة، تكثر فيها الآبار والعيون، وغنية بالأشجار والنخيل والزروع، وتبلغ مساحتها نصف مساحة مكة. **ياقوت الحموي**: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، جـ٥، صـ٨٢.

(١٢٠) عاش اليهود أول الأمر في بلاد الشام، ولما خربت الشام بسبب الحروب الرومانية في القرن الأول الميلادي، واضطهاد الإمبراطور الروماني تيتوس لليهود، لجأوا إلى مناطق في الجزيرة العربية، فانتشروا في اليمن، وخيبر، واليمامة، ونجران، ويثرب وغيرها من المناطق. **ولفنسون**: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، صـ٩-١٠؛ **جواد علي**: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ٣، صـ١٠٨؛ جـ١٢، صـ٩٨.

(١٢١) **محمود عرفة**: العرب قبل الإسلام (أحوالهم السياسية والدينية)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م، صـ١٥٦.

(١٢٢) الأوس والخزرج قبيلتان عربيتان من سبأ، وينحدران من نسل حارثة بن ثعلبة، قدموا من اليمن إلى يثرب بعد انهيار سد مأرب، كانوا يدينون بالوثنية العربية القديمة، وكانوا يعيشون في ظل نظام قبلي يدافعون عنه ويتعصبون له. **ابن الكلبي، هشام بن محمد:** نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، صـ٣٦٤؛ **ياقوت الحموي**: معجم البلدان، جـ٥، صـ٣٦.

(١٢٣) **ابن رسته**: الأعلاق النفيسة، مطبعة بريا، ليدن (هولندا)، ١٨٩٣م، صـ٦٣.

(١٢٤) **ابن الاثير، علي بن محمد**: الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.جـ١، صـ٦٠١-٦٠٢.

الفرقة التي كانت بينهم، فقد كانت كل فرقة لها مع الفرقة الأخرى عداوات، فعندما تقوم حرب بين الأوس والخزرج تقوم حرب بين بني قريظة وبني النضير من ناحية وبني قينقاع من ناحية أخرى، مثلما حدث في حرب "يوم بُعَاث"(١٢٥)، وصدق الله ﷻ في وصف تفرقهم فهو القائل: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:١٤].

السبب الثاني: أن هذا الحلف لم يُعقد رغبة من الطرفين في تحقيق التعايش السِّلميّ بين أفراد المجتمع في ذلك الوقت، أو أنه كان نابعًا من مبدأ المواطنة، وإنما كان لأسباب اقتصادية مادية، وهذا ما أكدته الأحداث التالية، **فالأوس والخزرج** قد رغبوا في هذا الحلف لأنهم لما قدموا المدينة وجدوا الزروع والنخيل في أيدي اليهود، ووجدوا العدد والقوة معهم، وكان الأوس والخزرج في ذلك الوقت يعانون من شظف العيش وضيق في المعاش(١٢٦)، ولما ضاقت بهم السبل وهم يرون أن الزروع والثمار في يد اليهود عقدوا معهم حلفًا وجوارًا(١٢٧)، أي أن هذا الحلف كان لمصالح اقتصادية مادية، بخلاف ما كانت عليه عهود النبي ﷺ ومواثيقه التي كانت نابعة من مبدأي التسامح الديني والتعايش السِّلميّ، **أما من ناحية اليهود** فقد كانوا يسيطرون على مقاليد الأمور في يثرب، يديرون التجارة ويحكمون الأسواق، ولما وفدت قبيلتا الأوس والخزرج من اليمن طلبوا من اليهود عقد حلف معهم حتى يتمكنوا من البقاء والعيش معهم، فوافق اليهود؛ إذ كانوا بحاجة إلى أيد عاملة، وبعد

(١٢٥) **"يوم بُعَاث":** اسم لمعركة وقعت بين قبيلتي الأوس والخزرج في يثرب قبل هجرة النبي ﷺ بخمس سنوات، وقد جددت بنو قريظة وبنو النضير العهود مع الأوس على المؤازرة والتناصر ضد الخزرج، بينما تحالفت بني قينقاع مع الخزرج ضد الأوس، وكان النصر فيه للأوس على الخزرج. **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٩٣؛ **ابن الأثير**: الكامل في التاريخ، جـ١، صـ٦٠١؛ **ابن كثير**: البداية والنهاية، جـ٤، صـ٣٦٨.

(١٢٦) **الأصفهاني**: الأغاني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، جـ٢٢، صـ١١٥.

(١٢٧) **ابن رسته**: الأعلاق النفيسة، صـ٦٣.

مرور الوقت ازدادت قوة الأوس والخزرج وكثرت أموالهم، فشعر اليهود بالخوف من أن يغلبوهم على دورهم وأموالهم(١٢٨)، فتربصوا لهم حتى نقضوا العهد الذي بينهم، وعملوا على دس بذور الفتنة وإشعال نار الحروب بينهما، وتسلط اليهود على جميع سكان يثرب، فاستعان الأوس والخزرج بالغساسنة على اليهود، فغلبوهم، وصارت الغلبة للعرب على المدينة منذ ذلك العهد(١٢٩)، أي أنهم قد لجأوا للحلف في أول الأمر لاستخدامهم في مزارع النخيل والثمار، وما أن عظمت قوتهم حتى عملوا على نقض هذه العهود، ويفهم من هذا أن هذا الحلف من البداية لم يُعقد لتحقيق التعايش بين أطراف المجتمع في ذلك الوقت، وإلا لما تأثر بالأمور الاقتصادية المادية.

السبب الثالث: لم يكن هذا الحلف رغبة في استقرار الأمن داخل المجتمع، بل كان ناتجًا عن تربص كل فريق بالآخر حتى تسمح الفرصة المناسبة للانقضاض عليه، ويظهر ذلك في نقض اليهود للعهد لمجرد ازدياد قوة الأوس والخزرج، وكان لليهود دور كبير في إذكاء روح التحاسد والتباغض بين القبيلتين لتبقى لهم السيطرة على المدينة، حتى انتهى الأمر باشتعال الحروب بين الأوس والخزرج بعدما غدر اليهود بحلفائهم(١٣٠)، أما عن الأوس والخزرج فكانوا يعلمون بغدر اليهود بهم وسعيهم لنقض الحلف، وهذا ما ظهر في قول زعيم الأوس لما انهزمت الخزرج بسبب غدر حلفائهم اليهود: "يا معشر الأوس، أحسنوا ولا تهلكوا إخوانكم، فجوارهم خير من جوار الثعالب"(١٣١)، يقصد اليهود.

(١٢٨) **السمهودي**: وفا الوفا بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، جـ١، صـ١٤٢.
(١٢٩) **ابن خلدون**: تاريخ ابن خلدون، جـ٢، صـ٢٨٩.
(١٣٠) **ابن الاثير**: الكامل في التاريخ، جـ١، صـ٦٠١.
(١٣١) **ابن الاثير**: المصدر السابق، جـ١، صـ٦٠٢.

لذلك يمكن القول: إن ما ذهب إليه المستشرقون من أن عهود النبي ﷺ لم تُضِفْ جديدًا على المجتمع، وأنه كانت هناك عهود بين أطياف المدينة، وأن اليهود كانوا يحمون القبائل العربية المجاورة، هو أمر أبطلته الأحداث التاريخية التالية، فما كانت عليه المجتمعات العربية قبل بعثة النبي ﷺ من تعاظم النزاع القبلي والتناحر والتنافس على الزعامة والأراضي الخصبة، جعلها منطقة مفككة اجتماعيا، تتطلع إلى من ينزع عنها هذا التفكك المجتمعي، حتى بُعث النبي ﷺ فعمل على استئصال أسباب الخلاف، وإرساء مبدأ التعايش السِّلميّ بين كافة أطراف المجتمع عن طريق أمور عدة، لعل أهمها هي عهوده مواثيقه ﷺ، ويُعلق أحد الكُتاب على هذا بقوله: "أنشأ النبي ﷺ دولته وعمل على تدعيم روح الإخاء الإنساني بين سكانها، ونزع أسباب التناحر والفرقة التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وقد كشف هذا التغيير عن مدى الظلم الاجتماعي الذي كانت تعانيه المدينة قبل ذلك، حيث نقلت عناصر المجتمع من نظام الأسرة والقبيلة والعشيرة والطائفة إلى نظام الأمة الواحدة"(١٣٢).

➢ **العهود ميزت بين المسلمين وغيرهم:**

تذهب هذه الشبهة إلى نفي مبدأ المساواة والعدل الذي أُسست عليه عهود النبي ﷺ ومواثيقه، وهذه الشبهة ضمن الشبهات التي أرادت النيل من الأثر الاجتماعي لعهود النبي ﷺ ومواثيقه، وتصوير العهود على أنها ميزت بين أطراف المجتمع وأنها كانت تهدف إلى أبعاد اجتماعية أخرى، وإلى هذا ذهب المستشرق يوليوس فلهاوزن في قوله: "وقد أصبحت المدينة منذ ذلك الحين – أي بعد إبرام

(١٣٢) **أحمد قائد الشعيبي**: وثيقة المدينة (المضمون والدلالة)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، صـ٣٦.

العهود– أمة واحدة، ولم تكن درجة الانتماء للأمة واحدة، بحث بقى ما يشبه التمييز العربي القديم بين أصحاب الحق الكامل وبين غيرهم من تابع ونزيل"(١٣٣).

ونلاحظ في هذا النص أن المستشرق يوليوس فلهاوزن أراد التقليل من مبدأ المساواة والعدل الذي سعى النبي لتحقيقه عن طريق إبرام العهود بين كافة الأطراف.

والغريب أن أمثال هؤلاء المستشرقين في حديثهم عن عهود النبي ﷺ ومواثيقه، لم يتحدثوا عنها باعتبارها خطوة من خطوات التنظيم الاجتماعي والديني الذي يحقق التآخي والمحبة والإيثار والتعايش السِّلميّ بين أطياف المجتمع، كذلك لم يتطرقوا إلى دور هذه العهود في نشر الإسلام، وإنما كان حديثهم عن هذه العهود أنها كانت إما خطوة سياسية أراد النبي ﷺ تحقيقها حتى يفرض سلطانه على القبائل العربية، وإما خطوة عسكرية أراد النبي ﷺ تحقيقها حتى يتفرغ لمعاركه وسراياه مع القبائل الأخرى، وإما خطوة اقتصادية أراد النبي ﷺ من خلالها الاستيلاء على أراضي اليهود الخصبة، وإما خطوة اجتماعية أراد النبي ﷺ من خلالها أن يكون أتباعه على قمة المجتمع؛ وما ذلك إلا ليبنوا فكرة لدى القارئ أن عهود النبي ﷺ ومواثيقه كانت مناورات لمكاسب مادية ولم يكن لها أي أهداف إنسانية.

وهذه النصوصُ كلُّها نصوصٌ واهية للتقليل من شأن عهود النبي ﷺ ومواثيقه في تحقيق الاستقرار المجتمعي، ومن الجدير بالذكر أن البعد الإنساني والاهتمام بالنظم الاجتماعية في حياة النبي ﷺ بصفة عامة وعهوده ومواثيقه بصفة خاصة، ليس أمرًا عارضًا أملته الظروف الطارئة، بل كان سمةً أساسية في سياسية النبي تجاه الآخرين، فهو القائل: "ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو

(١٣٣) **يوليوس فلهاوزن**: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، صـ١١-١٢.

أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة"(١٣٤).

وهكذا سار الخلفاء الراشدون من بعده ﷺ، فهذا الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يوصي الخليفة من بعده على الوفاء بالعهود بقوله: "وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ؛ أن يُوفِيَ لهم بعهدهم، وأن يقاتل من وراءهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم"(١٣٥).

كذلك حققت هذه العهودُ الكثيرَ من مظاهر الحياة الاجتماعية مع غير المسلمين مثل: إباحة أكل أطعمتهم والزواج من نسائهم، يقول ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ..﴾[المائدة:٥]، كذلك تبادل الزيارات معهم وعيادة مرضاهم مثلما فعل النبي ﷺ مع أحد اليهود(١٣٦)، وقبوله ﷺ لهداياهم، مثلما فعل في قبول هدية ملك مدينة أَيْلَة(١٣٧) النصراني، وكانت عبارة عن بغلة بيضاء وبعض الثياب(١٣٨)، وكان ذلك على إثر العهود التي كانت بينهما، بالإضافة إلى إكرام وفادتهم، مثلما فعل مع وفد نصارى نجران حينما أعطاهم العهود والمواثيق، بل سمح لهم بممارسة صلاتهم في المسجد(١٣٩)، كذلك كان النبي ﷺ يبيع ويشتري منهم كما ورد في حديث السيدة عائشة ﷺ أن النبي ﷺ اشترى طعامًا من يهودي إلى أجل فرهنه درعه(١٤٠)، وغيرها الكثير من التعاملات الاجتماعية التي كانت ثمرة

(١٣٤) **أبو داوود**: سنن أبي داوود، تحقيق: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، جـ٣، صـ١٣٦.

(١٣٥) **البخاري**: صحيح البخاري، جـ١، صـ٤٦٩.

(١٣٦) عن أنس ﷺ قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار". **البخاري**: صحيح البخاري، جـ١، صـ٤٥٥.

(١٣٧) **"أيْلة"**: مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم (البحر الأحمر)، وقد صالح النبي ملكهم يوحنا بن رؤبة على الجزية وقرر على كل أرض في السنة دينارًا فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار، واشترط عليهم استضافة من مر بهم من المسلمين، وكتب لهم كتابًا بحمايتهم، وقيل هي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير، سميّت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم ﷺ. **ياقوت الحموي**: معجم البلدان، جـ١، صـ٢٩٢.

(١٣٨) **البخاري**: صحيح البخاري، جـ٢، صـ٥٣٩.

(١٣٩) **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ١١٣؛ **ابن سعد**: الطبقات الكبرى، جـ١، صـ٢٦٨.

(١٤٠) **البخاري**: صحيح البخاري، جـ٢، صـ٧٦٧.

تلك العهود والمواثيق التي عقدها النبي ﷺ مع غير المسلمين، كذلك من مظاهر المساواة والعدل الذي حققته عهود النبي ﷺ ومواثيقه بين المسلمين وغير المسلمين المساواة في نفقات الحرب التي فُرضت على الجميع دون تمييز، -وسيأتي الحديث عنها في البحث الخاص بالنظام العسكري-.

وخلاصة القول أن عهود النبي ﷺ كان لها أثر اجتماعي بيِّن شهدت عليها كافة المصادر العربية، فقد حققت العدل والمساواة بين الجميع، وضمنت أسباب التعايش السِّلميّ بين كافة أطراف المجتمع، وقد تجلت هذه المظاهر الاجتماعية داخل المجتمعات العربية إذا ما قورنت بالفترة التي سبقت إبرام هذه العهود، فقد عدَّ الإسلام الآخرين مواطنين، وأنهم أمة واحدة مع المسلمين ما داموا قائمين بالواجبات الواجبة عليهم، فاختلاف الدين ليس سببًا للحرمان من مبدأ المواطنة، وعلى الرغم من أثر هذه العهود الاجتماعية فإن المستشرقين قد عز عليهم أن يكون التعايشُ السِّلميّ والتسامحُ الديني من الدوافع الرئيسة في إبرام هذه العهود؛ لذلك كانوا يتحسسون بعض النصوص الواهية لإثبات عكس ذلك، إلى أن وجدوا ضالتهم في بعض الشبهات، وصدق الماوردي حينما قال: "ومن نظر إلى العهود التي كان يقطعها المسلمون على أنفسهم لغير المسلمين أيام قوة الإسلام وسطوة أهله تتجلى له الروح السمحة التي عامل بها الإسلام غير المسلمين"(١٤١).

❁❁❁❁❁

(١٤١) **الماوردي، علي بن محمد البغدادي**: الأحكام السلطانية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، صـ١٠٠.

المبحث الثالث

رؤى المستشرقين حول الأثر السياسي لعهود النبي ﷺ ومواثيقه

بعد أن وصل النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة عام (٦٢٢م) اعتبر هذا التاريخ هو تاريخ نشأة الدولة الإسلامية الأولى؛ إذ اكتملتْ فيه العناصر الضرورية لإقامة الدولة، من سلطة سياسية متمثلة في زعامة النبي ﷺ، وشعب مكون من الأوس والخزرج والمهاجرين واليهود، وإقليم محدود بحدود المدينة، ومنذ ذلك الحين وُضعت قواعد النظرية السياسية الإسلامية، فكان الرسول ﷺ مؤسسًا لدولة الإسلام الأولى في المدينة، وأرسى دعائم المقومات الأساسية لتلك الدولة، ونجح في التغلب على الخلافات بين العناصر البشرية المكونة لمجتمع المدينة، وانطلاقًا من هذا الأساس أقام المسلمون دولتهم(١٤٢).

ومما ساعد كذلك على توافر العناصر الضرورية لإقامة الدولة الإسلامية في المدينة، سياسة النبي ﷺ التي كان أساسها التسامح الديني والتعايش السِّلميّ مع كافة عناصر المجتمع، ولتحقيق هذا التعايش شرع النبي في عقد العهود والمواثيق مع جيرانه الأنصار واليهود والنصارى، بل والمشركين أيضًا، وعلى الرغم من أن هذه الخطوة كانت خطوة سياسية حكيمة لتحقيق مبدأ التعايش السِّلميّ بين المجتمع، فإن بعض المستشرقون أثاروا بعض الشبهات حول هذا الأثر السياسي لعهود النبي ﷺ ومواثيقه وصوروها تصويرًا مغايرًا لما كانت عليه.

(١٤٢) **حسن إبراهيم حسن، وعلي إبراهيم حسن**: النظم الإسلامية، صـ٢.

- **العهود ومبدأ الوحدة السياسية:**

سعى النبي ﷺ منذ قدومه المدينة إلى تحقيق وحدة سياسية تقوم على أسس المبادئ الإسلامية، فكان الإسلام هو الرابط الأساسي بين أفراد المجتمع الذي وحد قلوبهم وعقولهم حول قيمٍ ومبادئَ مشتركة، هذه القيم والمبادئ التي كانت تدعوا إلى مبدأ "**التعايش السِّلمي**" بين كل فرد من أفراد المجتمع مسلمًا كان أو غير مسلم، وهذا ما نصت عليها بنود العهد الذي عقده النبي مع أهل المدينة، حيث بَيَّنت حقوق وواجبات كل فرد في المجتمع وحددتها، ووضعت أسس العلاقة بين المهاجرين والأنصار، وبين المسلمين وغير المسلمين، وتحقيق العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع بغض النظر عن أصلهم أو لونهم أو جنسهم(١٤٣)، بشكل عام يمكن القول إن الوحدة السياسية في عهد النبي ﷺ كانت وحدة متكاملة تجمع بين الدين والدولة والمجتمع، وتسعى لتحقيق العدالة والمساواة والأخوة بين جميع أفرادها(١٤٤).

ورغم أن هدف هذه المبادئ هو تكوين وحدة سياسية قوية لمواجهة الأخطار، إلا أن المستشرقين أثاروا حولها الشبهات ومنها: أن هذه العهود التي عقدها النبي ﷺ مع أهل المدينة كانت رغبة من طرف واحد وهو النبيُّ ﷺ والمهاجرون، وأن النبي ﷺ كان يسعى من خلالها نحو فرض حكمٍ استبداديٍّ إسلاميٍّ، وقد تبنى هذه الفكرةَ المستشرق برنارد لويس حيث قال: "وليس هذا الكتاب معاهدةً بالمعنى الدولي بل تصريحًا من جانب واحد، وكانت خطوة أولى نحو الحكم الاستبدادي الإسلامي فيما بعد"(١٤٥).

---

(١٤٣) من البنود التي أقرت هذه المبادئ ما نصه: "وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم"، يُنظر: **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٣٣.

(١٤٤) **فتحية النبراوي**: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ط٢٠، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، صـ٧٧.

(١٤٥) **برنارد لويس:** العرب في التاريخ، صـ٥٥.

وفي السياق نفسه أشار مونتغمري وات إلى أن قبائل المدينة أُجْبِروا على قبول بنود هذه الوثيقة بعد انتصار المسلمين في بدر وكسر شوكة المكيين، حيث قال: "ونجح محمد في إقناع غالبية الأمة بأنه يجب قبول نتائج بدر، وهذا هو الوقت الذي يمكن أن تكون قد كتبت فيه هذه الوثيقة، وأنه من الصعب أن ترى الأنصار يقبلون مثل هذه البنود في وقت سابق"(١٤٦).

وصف المستشرق برنارد لويس عهود النبي ﷺ مع أهل المدينة بأنها لم تكن معاهدة بالمعنى الدولي، بل كانت من "**جانب واحد**"، أي أن النبي وأصحابه كانوا يريدون هذا العهد، ولم يكن يرغب به غيرهم من الأنصار واليهود، وهو بذلك يريد التفرقة بين المعاهدات الدولية الحديثة التي تقوم على اتفاقٍ وتراضٍ بين الطرفين(١٤٧)، وبين معاهدة المدينة لأنها كانت من طَرَف واحدٍ، والحقيقة أن هذه الشبهة تبطلها الكثير من الأدلة التاريخية، فالنبي لم يبرم هذه العهود ضد رغبة الأطراف الأخرى من أهل المدينة من الأنصار واليهود، بل إن النبي ﷺ حينما قدم إلى المدينة ومعه أصحابه المهاجرون كان يقتطع لهم القطائع من عفائن الأرض(١٤٨)، ولم يسكن أحد من المهاجرين في المناطق العامرة إلا إذا وهبه إياها أحد من الأنصار(١٤٩)، وتذكر المصادر أن هناك قومًا لم يجدوا أماكنَ ينزلون فيها فأنزلهم النبي ﷺ مؤخرة المسجد "الصفة" فسموا: "أصحاب الصفة"، وكانوا يَكْثُرون

(١٤٦) **مونتغمري وات**: محمد في المدينة، صـ٣٥٣.

(١٤٧) **المعاهدة في القانون الدولي الحديث كما** عرفتها المادة الثانية من اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات هي: "اتفاق دولي يعقد بشكل كتابي بين دولتين أو أكثر ويخضع للقانون الدولي"، ويمكن تعرفيها أيضًا بأنها: "توافق إرادة شخصين أو أكثر من أشخاص القانون الدولي على إحداث أثر قانوني معين طبقًا لقواعد القانون الدولي". **غسان الجندي**: قانون المعاهدات الدولية، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، ١٩٨٨م، صـ١٠٧.

(١٤٨) **عفائن الأرض**: عفائن مفردها عفن أي فاسد، وهو الشيء الذي فسد نتيجة الإهمال. يُنظر: **ابن منظور**: لسان العرب، جـ١٣، صـ٢٨٨.

(١٤٩) **السمهودي:** وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، جـ٢، صـ٢٣٥.

ويَقِلُّون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر(١٥٠)، وكان النبي ﷺ قد اشترى مكان المسجد واشترك هو والصحابة في بنائه(١٥١)، أي أن النبي ﷺ كان حريصًا على أن يكون هناك تراضٍ بينه وبين أهل المدينة في الأمور المادية، فلا يعقل أن يعقد هذه العهود ضد رغبتهم.

كذلك لم يجبر النبي ﷺ أهل المدينة على قبول هذه العهود كما يزعم مونتغمري وات، أو أنهم كانوا كارهين لتواجدهم معهم في المدينة كما يدعي المستشرق إميل درمنغم في قوله: "لم يكن الأنصار على وفاق دائم مع المهاجرين"(١٥٢).

ومن الجدير بالذكر أن علاقة المهاجرين بالأنصار كانت –وما زالت– من القضايا التي استهدفها المستشرقون بأقلامهم، وقاموا بدراستها وتطويع ما جاء في كتب التاريخ بما يتوافق مع منهجهم ونتائجهم التي أعدوها مسبقًا للقدح في أصحاب النبي ﷺ(١٥٣)، ولعل سبب وقوع الكثير من المستشرقين في بعض التفسيرات الخاطئة التي تخص الصحابة ﷺ هو جهلهم أو تغافلهم عن هذه الصلة القوية التي كانت بين الصحابة ﷺ والنبي ﷺ، فهذا الجيل الذي تربى على القرآن فهذب أخلاقه قد ربط نفسه بالرسول ﷺ بصلاتٍ قوية، هذه الصلة التي رخصت في سبيلها الأموال والأنفس، فقد كانت حياة هذا الجيل من الصحابة ﷺ قدوة للعالمين في كل

(١٥٠) يُنظر في أخبار أهل الصفة وأسمائهم: ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ١، صـ١٩٦ وما بعدها؛ **البلاذري**: أنساب الأشراف، جـ١، صـ٢٧٢ وما بعدها.

(١٥١) **ابن هشام:** السيرة النبوية، جـ٣، صـ٢٥.

(١٥٢) **إميل درمنغم**: الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة، صـ١٧٧.

(١٥٣) مثل ما ذكره المستشرق الإنجليزي ستانلي لين بول من أن عدم تعيين النبي ﷺ خليفة من بعده قد تسبب في "نزاع بين أصحابه"، وتصوير الأمر للقارئ بأنهم كانوا يتصارعون على السلطة. **ستانلي لين**: تاريخ مصر في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد سالم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٢، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، صـ١٩٨.

زمان ومكان(١٥٤)، وقد قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمِ﴾[التوبة: ١٠٠]، وقال النبي ﷺ: "خير أمتي قَرْنِي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"(١٥٥)، وقال فيهم الإمام أحمد ابن حنبل: "ومَنْ انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أبغضَهُ بحدَثٍ كان منه، أو ذَكَرَ مَسَاوِئَهُ كان مبتدعًا حتى يترحم عليهم جميعًا ويكون قلبه لهم سليمًا"(١٥٦).

هذا مقتطف يسير من الآيات والأحاديث وأقوال السلف في فضل الصحابة ﷺ، ومواقفُهم مع النبي ﷺ كثيرة، وقد أفاض العلماء في ذكرها في مؤلفات كثيرة عن فضائل الصحابة، لذلك فمن الباطل أن نظن فيهم سوءًا ونقول إن الأنصار لم يرغبوا بمعاهدة النبي ﷺ، وأنها قد فرضت عليهم.

أما عن وصف برنارد لويس عهود النبي ﷺ ومواثيقه بأنها: "كانت خطوة أولى نحو الحكم الاستبدادي الإسلامي فيما بعد"(١٥٧)، فهو وصف مغاير لما كانت عليه عهود النبي ﷺ ومواثيقه، خاصة إذا علمنا أن مصطلح "الاستبداد" في معناه اللغوي هو: "الانفراد بالأمر، يقال: استبد بالأمر، يستبد به استبدادًا إذا انفرد به دون غيره"(١٥٨)، أما الاستبداد في المصطلح السياسي فهو: "تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف"(١٥٩)، أما تعريف النظام الاستبدادي في الفكر

(١٥٤) **سعد عبد الله سعد الماجد**: موقف المستشرقين من الصحابة ﷺ، دار الفضيلة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، صـ١٤٥.
(١٥٥) **البخاري**: صحيح البخاري، جـ٣، صـ١٣٣٥.
(١٥٦) **أحمد بن حنبل**: أصول السنة، دار المنار، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، صـ٥٤.
(١٥٧) **برنارد لويس:** العرب في التاريخ، صـ٥٥.
(١٥٨) **الجوهري**: الصحاح، جـ٢، صـ٤٤٤؛ **ابن منظور**: لسان العرب، جـ٣، صـ٨١.
(١٥٩) **عبد الرحمن الكواكبي**: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم: أسعد السحمراني، دار

السياسي الغربي فهو: "عدم تقيد الحاكم المستبد بقانون أو بقاعدة ثابتة، ويفرض إرادته على المحكومين دون خشية حساب"(١٦٠)، وهذا ما تبطله الحقائق التاريخية ونصوص المعاهدات التي عقدها النبي مع الآخرين.

ولعل برنارد لويس يقصد من مصطلح "الاستبداد السياسي" نظام "توريث الحكم" ظنًا منه أن عهود النبي كانت تمهيدًا لتوريث أصحابه الحكم من بعده، خاصة إذا علمنا أن صفة الاستبداد السياسي تُطلق على الحاكم الذي تولى الحكم بالغلبة أو الوراثة(١٦١)، وهو ما لم يحدث لا في عهد النبي ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين من بعده، فلم يكن نظام توريث الحكم من أسس النظام السياسي في الدولة الإسلامية؛ فقد كان اختيار الخليفة يتم عن طريق الشورى والبيعة، ولم يفكر أحد من الخلفاء الراشدين في توريث الخلافة لأحد من أبنائه، فأبو بكر الصديق ﷺ حكم ومات، ولم يورث أحدًا من أولاده، وعمر بن الخطاب ﷺ استبعد ابنَ عمه سعيد بن زيد ﷺ من أن يكون ضمن الستة الذين سيختار منهم الصحابة خليفتهم، فضلًا عن أنه رفض رفضًا تامًّا فكرة تولية ابنه عبد الله ﷺ عندما أشار عليه البعض بذلك، وعثمان بن عفان ﷺ لم يورث أحدًا من أولاده، كما أن عليًّا ﷺ رفض أن يعهد لابنه الحسن ﷺ(١٦٢).

النفائس، بيروت، ط٣، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، صـ٣٧؛ **وليام دويل**: الأرستقراطية، ترجمة: زينب عاطف، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م، صـ١١.

(١٦٠) **ناظم عبد الواحد الجاسور**: موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، صـ٦٣٨؛ **أحمد زكي بدوي**: معجم المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م، صـ٤٣.

(١٦١) **عبد الرحمن الكواكبي**: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، صـ٣٨.

(١٦٢) **عبد الشافي محمد عبد اللطيف**: العالم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، صـ١١٤، ١١٥.

- **العهود بين المكاسب السياسية والتسامح الديني:**

ومن الشبهات التي أراد المستشرقون إثارتها حول عهود النبي ﷺ ومواثيقه، أن النبي ﷺ لجأ إلى العهود لمكاسبَ سياسيةٍ، وأن النبي ﷺ قد نال بعض الصلاحيات السياسية رغمًا عن الأنصار، ولهذا المعنى أشار برنارد لويس بقوله: "إن هذه العهود أحدثت تغيراتٍ مهمةً، منها هذا التصور الجديد للسلطة فقد أصبح محمد "شيخ الأمة"، ولم تكن هذه السلطة متوقفة على موافقة القبائل، أو ممنوحة عن طيب خاطر، وإنما كان استنادًا على امتياز ديني مطلق"(١٦٣).

وفي السياق نفسه ذكر المستشرق الإنجليزي "الفريد جيوم – Alfred Guillaume" أن زعماء أهل المدينة بدأوا بالتمرد إثر تولي الرسول السلطة، وقد شعروا بأن ما حصلوا عليه لا يوازي ما تنازلوا عنه، بالإضافة إلى قبائل اليهود التي سَرعان ما أبدت سخطها على دين محمد وسياسته(١٦٤).

إن ما ذهب إليه برنارد لويس وألفريد جيوم من أن النبي ﷺ كان يسعى لفرض مكاسب سياسية من خلال العهود، أو أن زعماء أهل المدينة بدأوا بالتمرد إثر تولي الرسول ﷺ السلطة، هو أمر تنفيه الأحداث التاريخية؛ فالنبي ﷺ قبل أن يهاجر إلى المدينة بايع زعماء الأنصار على السمع والطاعة والنصرة والحرب، فيما عرف في كتب السيرة بـــ "بيعة العقبة الثانية"، وكان ذلك بطيب خاطر منهم، وقد شهد بذلك أحد زعماء الأنصار وهو "عُبَادة بن الصامت"(١٦٥) حيث قال: "بايعنا

(١٦٣) **برنارد لويس:** العرب في التاريخ، صـ٥٦.

(١٦٤) **الفريد جيوم**: الإسلام، ترجمة: محمد مصطفى هدارة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥٨م، صـ٤١.

(١٦٥) هو عبادة بن الصامت الخزرجي الأنصاري، ويكنى أبا الوليد الأنصاري، بايع النبي ﷺ في بيعة العقبة الأولى والثانية، وهو أحد النقباء الاثني عشر، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين وأبي مرثد الغنوي، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول اللهﷺ، مات بالرملة من أرض الشام سنة (٣٤هـ)، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وقيل إنه بقي حتى توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان بالشام. **ابن سعد**: الطبقات الكبرى، جـ٣، صـ٤١٢.

رسول الله ﷺ بيعه الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم"(١٦٦).

أما بعد الهجرة فمواقف ولاء الأنصار للنبي ﷺ وطاعتهم له كثيرة، وعلى سبيل المثال: عندما بلغ النبي ﷺ أن قريشًا قصدت بدرًا استشار أصحابه، فقام أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ﷺ وأحسنوا القول، ثم قام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: "قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد"(١٦٧).

فمثل هذه الكلمات التي تعبر عن الطاعة المطلقة للنبي ﷺ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تدفع صاحبَها للتمرد كما زعم ألفريد جيوم.

ومما يؤكد تفسير هؤلاء بأن عهود النبي ﷺ كانت لأسباب سياسية بحتة قول مونتغمري واط: "لم تكن هناك أية مفاوضات بين اليهود والنبي قبل الهجرة، ولما أدرك النبي الدور المهم الذي يقوم به هؤلاء في سياسة المدينة حدد الموقف الذي يجب اتخاذه نحوهم"(١٦٨).

ويظهر في هذا النص أن المستشرق مونتغمري واط أراد تصوير عهود النبي ﷺ على أنها كانت مفاوضاتٍ لمكاسبَ سياسيةٍ ولم تكن ناتجةً عن مبدأ التسامح الديني، واستدل على ذلك بأن النبي ﷺ لم يعاهد اليهود إلا بعد أن أدرك أن لهم دورًا مهمًّا في سياسة المدينة، إلا أن هذا المستشرق قد غفل عن أنه لم يكن لليهود نفوذ كبير ولا جاليات كبيرة في مكة قبل هجرة النبي إلى المدينة حتى يتم التفاوض

(١٦٦) **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٢، صـ٣٠٣.
(١٦٧) **ابن هشام**: المصدر نفسه، جـ٣، صـ١٦٢.
(١٦٨) **مونتغمري وات**: محمد في المدينة، صـ٢٩٨.

معهم، فلو كان لهم نفوذ فيها أو رأي مسموع لسمعنا به كما سمعنا بخبرهم في يثرب، ولكان لهم حي خاص بهم، ومكانة بين رجال قريش، كالذي كان عليه يهود يثرب في اتصالهم بالأوس والخزرج(١٦٩)، ثم لما اضطر رجال قريش إلى الذهاب إلى يثرب مرارًا، لاستشارتهم في أمر سلوكهم مع المسلمين، ولما جاء سادات يهود يثرب إلى مكة، لتحريض أهلها على مقاومة الرسول ﷺ ولعقد حلف معهم عليه(١٧٠)، كل هذه الأسباب تؤكد أن عدم اتصال النبي باليهود قبل الهجرة كان سببه أن اليهود لم يكونوا طرفًا في الصراع الذي كان بين النبي ﷺ وقريش في مكة، ولما هاجر النبي إلى المدينة عقد معهم عهدًا بحكم الجوار الذي سيكون بينهم.

- **العهود وتحقيق مبدأ الدبلوماسية السياسية:**

لما كانت الدبلوماسية السياسية هي فن إدارة العلاقات من خلال التفاوض والحوار، بهدف تحقيق مصالح الدولة وتجنب الصراعات(١٧١)، فإن النبي قد مارس هذه الدبلوماسية معتمدًا على المبادئ والأسس الإسلامية، فدبلوماسية النبي ﷺ تُعرف بأنها: مجموعة من المبادئ والأساليب التي استخدمها النبي في تعامله مع القبائل والممالك الأخرى بهدف إقامة علاقات سلمية، وتحقيق التعايش السِّلميّ، وقد تميزت هذه الدبلوماسية بالعديد من الخصائص، مثل: استخدام الحوار والتفاوض، وإرسال الرسائل والوفود، وعقد المعاهدات والاتفاقيات، بالإضافة إلى احترام العهود والمواثيق(١٧٢).

(١٦٩) **ولفنسون**: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، صـ١٣.
(١٧٠) **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٤، صـ١٧١.
(١٧١) **أحمد زكي بدوي**: معجم المصطلحات السياسية والدولية، صـ٤٤-٤٥.
(١٧٢) **عون الشريف قاسم**: دبلوماسية محمد في ضوء رسائل النبي ومعاهداته، دار الطباعة، الخرطوم، د.ت، صـ١.

وقد تناول بعض المستشرقين عهود النبي ﷺ ومواثيقه على أنها خطوة دبلوماسية نحو تحقيق أهداف سياسية، وقد تباينت اتجاهاتهم في هذا الأمر، فمنهم من رأى أنها خطوة سياسية حكيمة لضمان تحقيق التعايش السِّلميّ في الدولة الإسلامية، وحل النزاعات والخلافات القديمة، ومنهم من رأى أنها كانت مناوراتٍ سياسيةً، أو اتفاقياتٍ سياسيةً مؤقتةً سَرعان ما تنتهي بعد تحقيق غرضها.

ومن المستشرقين الذين رأوا أن عهود النبي ﷺ كانت خطوةً دبلوماسيةً حكيمةً لحل الخلافات القديمة وتأكيدًا لمبدأ التعايش السِّلميّ المستشرق مونتغمري وات، حيث قال: "لم يكن الهدف من تقديم النبي لحل الخلافات زيادة سلطانه، وإنما كان له من الحس السليم والدبلوماسية ليجد التسوية التي تؤدي إلى اتفاق عام"(١٧٣).

وإلى هذا أيضًا ذهب المستشرق الإيطالي فرانشيسكو كبرييلي في قوله: "استطاع النبي تطويع سياسته وتكتيكاته الحكيمة في وثيقة قيمة وموثوقة لا تقبل الشك، وهي الوثيقة التي سنها النبي مع جميع سكان المدينة بعد مدة وجيزة من وصوله المدينة"(١٧٤).

إن ما ذهب إليه المستشرقون من حسن دبلوماسية النبي وسياسته الحكيمة في إدارة الأمور قد ظهر جليًّا في عهوده ﷺ مع أهل المدينة؛ فقد حَرَصَ النبي ﷺ من خلال هذه العهود أن يكون مسؤولاً عن حل الخلافات بين القبائل المتنازعة، وقد ظهر ذلك في بنود هذه المعاهدة، فقد ورد ما نصه: "أنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ"(١٧٥).

---

(١٧٣) **مونتغمري وات**: محمد في المدينة، صـ٣٤٨.
(١٧٤) **فرانشيسكو كبرييلي**: محمد والفتوحات الإسلامية، صـ١٥٠.
(١٧٥) **ابن سلام**: كتاب الأموال، صـ٢٦٠؛ **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٣٤.

وعلى الرغم من صعوبة هذا الدور الدبلوماسي الذي تحمل النبي مسؤوليته لتأسيس نظام سياسي مستقر، وضمان التعايش السِّلميّ بين المسلمين وغيرهم، فإن بعض المستشرقين قد حاول –حقدًا– التقليلَ من دور النبي ﷺ الدبلوماسي في هذه العهود، فهذا المستشرق مونتغمري وات سَرعان ما رجع إليه تحيزه وتعصبه تجاه النبي ﷺ، وأراد الانتقاص من دور النبي ﷺ في هذا الدور السياسي فقال: "ليس دستور المدينة دليلاً صادقًا على مكانة النبي حين وصوله المدينة في سنة (٦٢٢م)، وأن سلطاته لم تكن واسعة، ولا بد أنها كانت أضيق في مطلع إقامته في المدينة"(١٧٦).

وقال أيضًا: "على الرغم من وصف محمد بـــ"النبي" في مطلع الوثيقة، وإظهاره بأنه زعيم للمهاجرين، فربما كان هذا شرفيًّا، ومع ذلك لم يكن النبيُّ رئيسَ دولة، فهو ليس سوى شخصية مهمة بين شخصيات أخرى، وربما كان لبعض الشخصيات نفوذ أعظم من محمد في السنة الأولى التي قضاها في المدينة"(١٧٧).

إن هذا الادعاء قد جانب الصوابَ وما كان عليه الواقع وما نصت عليه بنود هذه العهود؛ فقد أدى النبي دورًا محوريًّا في تحقيق السلام؛ حيث وضع الأسس والمبادئ التي تقوم عليها علاقات إنسانية متوازنة ومستقرة، من خلال تعزيز قيم التسامح والعدل والمساواة، ونبذ العنف والتعصب، ودعا النبي كذلك إلى احترام الأديان الأخرى، والتعايش مع أصحابها، وعدم الإكراه في الدين، وإن أقرب مثال يدل على دور النبي السياسي في الدولة الإسلامية "صلح الحديبية"(١٧٨)، فرغم

(١٧٦) **مونتجومري وات**: محمد في المدينة، صـ٣٤٧.

(١٧٧) **مونتجومري وات**: المرجع نفسه، صـ٣٤٨.

(١٧٨) **"صلح الحديبية"**: اتفاقية عُقدت بين المسلمين بقيادة النبي ﷺ وقبيلة قريش في عام (٦هـ/٦٢٨م) قرب مكة في منطقة تسمى الحديبية، نصت الاتفاقية على هدنة لمدة عشر سنوات بين الطرفين، وسمحت للمسلمين بأداء العمرة في العام التالي، كذلك نصت بنود الصلح على من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء ممن مع محمد لم يردوه عليه، وأنه من

معارضة بعض الصحابة لبعض بنوده ورأوا أنها تنازلات(١٧٩)، أصر النبي ﷺ على عقد هذا الصلح، وما أن مرت فترة قصيرة حتى حقق هذه الصلح فوائده ونتائجه السياسية المرجوة، وفتح الباب أمام النبي ﷺ للتحالف مع من شاء من القبائل(١٨٠)، أي أن النبي كان له دور فعال ورأي في إبرام هذه العهود، وليس كما يدعي مونتغمري وات أن النبي لم يكن له مكانة سياسية لعقد هذه العهود والمواثيق.

ومع تباين آراء المستشرقين حول دبلوماسية النبي في إبرام العهود والمواثيق، فإن الحقيقة التي أثبتتها المصادر الإسلامية أن سياسية النبي تجاه الآخرين –سواء عن طريق إرسال الوفود والرسائل إلى الكيانات السياسية الموجودة في ذلك الوقت، أو عن طريق العهود والمواثيق مع القبائل المجاورة– قد أظهرت ذكاء الدبلوماسية الإسلامية في التعامل مع الأحداث، وكانت هذه الدبلوماسية تأخذ بعناصر ومقتضيات الواقع، ففي صلح الحديبية بشروطه المعروفة ظهرت ملامح هذه الدبلوماسية في التحرك لربط المناطق المختلفة بالمواثيق والعهود وكتب الأمان من أجل نشر الإسلام بين القبائل، وفرض العزلة على مكة والانفراد بخيبر، ليمنع تحالفها مع قريش خاصة بعد أن نقضوا عهودهم مع النبي ﷺ، وحتى لا تبقى قوة تدعمهم(١٨١).

أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٤، صـ٢٧٥؛ **ابن سعد**: الطبقات الكبرى، جـ٢، صـ٧٢.

(١٧٩) كان لصلح الحديبية تأثير كبير على الصحابة، حيث أثار حزنًا واستياءً في نفوسهم بسبب بعض بنوده التي رأوها مجحفة في حقهم، مثل عودة النبي ﷺ دون أداء العمرة، واشتراط أن يعيد المسلمين من أسلم من أهل مكة بعد الصلح لقريش، ولا تعيد قريش من ارتد من المسلمين إلى المدينة، وكان أول من أبدى رأيه في بنود هذا الصلح عمر بن الخطاب ﷺ. **البخاري**: صحيح البخاري، جـ٢، صـ٩٧٤؛ **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٤، صـ٢٨٤.

(١٨٠) **عبد العزيز الدوري**: النظم الإسلامية، وزارة المعارف العراقية، بغداد، ط١، د.ت، صـ٢٢-٢٣.

(١٨١) **أحمد عجاج كرمي**: الإدارة في عصر الرسول ﷺ، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ، صـ١٣٧.

أما عن المستشرقين الذين رأَوْا أن هذه العهود كانت مناوراتٍ سياسيةً، أو اتفاقياتٍ سياسيةً مؤقتة سرعان ما تنتهي بعد تحقيق غرضها، فهم يقصدون عهود النبي مع اليهود؛ لأن هذه العهود انتهت بعملية عسكرية في مناطقهم بسبب نقضهم هذه العهود على الرغم من أنها ما زالت سارية، وسوف يتم الرد على هذه الشبهة في الجزء الخاص بـــ"الأثر العسكري لعهود النبي ﷺ ومواثيقه".

المبحث الرابع

رؤى المستشرقين حول الأثر العسكري لعهود النبي ﷺ ومواثيقه

استحوذ النظام العسكري في الحضارة الإسلامية على نصيب كبير من اهتمام المستشرقين، فتناولوه بالدراسة والبحث، إما من خلال الطعن في مقومات هذا النظام، وإما من خلال وصفه بأنه كان عملاً في حد ذاته ولم يكن غاية لشيء آخر، وهؤلاء من وصفوا الفتوحات الإسلامية بأنها كانت عملاً وحشيًّا، وأن الإسلام انتشر بالقهر والقوة وسفك الدماء، وأن المسلمين كانوا متوحشين يبطشون بالناس ويُكرهونهم على الدخول فيه، ومنهم من ذهب إلى أن النظام العسكري في الإسلام كان بحثًا عن الغنائم نظرًا لشظف الجزيرة العربية، وأن الدافع الاقتصادي كان هو المحرك الأول لغزوات النبي ﷺ(١٨٢)، وهؤلاء أيضًا من أثاروا الشبهات حول عهود النبي ﷺ ومواثيقه من الناحية العسكرية، وكان محور هذه الشبهات يتركز على أن هذه العهود كانت تُستخدم كذريعة لحملة عسكرية ضد أعداء الإسلام، أو أنها كانت عهودًا مؤقتةً لتجهيز حملة عسكرية للاستيلاء على ممتلكات غير المسلمين، وبيان ذلك كالتالي:

- **الشبهة الأولى: العهود كانت ذريعة للقضاء على غير المسلمين:**

أراد بعض المستشرقين إثارة الشبهات حول عهود النبي ﷺ ومواثيقه؛ ففسروا بنود هذه العهود تفسيرًا عسكريًّا، لإظهارها للقارئ أنها كانت لأهداف

(١٨٢) هناك بعض الكتابات الاستشراقية غير المنصفة التي صورت الفتوحات الإسلامية على أنها كانت عملًا وحشيًّا، أو أنها كانت بحثًا عن الغنائم، وعلى سبيل المثال: المستشرق "مونتجمري وات- Montgomery Watt"، في كتابه "محمد النبي ورجل الدولة- Muhammad: Prophet and Statesman"، والمستشرق "مارجليوث - Margoliouth"، في كتابه "محمد وظهور الإسلام- Mohammed and the Rise of Islam"، والمستشرق "توماس أرنولد - Thomas Arnold" في كتابه: "الدعوة إلى الإسلام - The preaching of Islam"، والمستشرق "ستانلي لين بول – Stanley Lane Poole" في كتابه: "قصة العرب في أسبانيا - The Story of the Moors in Spain".

عسكرية بحتة، وأن المسلمين كانوا يستخدمونها كاتفاقيات عسكرية لشن حملات هجومية على غيرهم، مثل ما ذهب إليه المستشرق بروكلمان في قوله: "وفي السنة الثانية للهجرة نهض النبي ﷺ بمهمة إصلاح ذات البين، وكانت الحرب مع المكيين على وشك الوقوع"(١٨٣)، أما المستشرق يوليوس فلهاوزن فقد فسر سبب رغبة النبي ﷺ في عقد معاهدة مع أهل المدينة بأنه كان يريد استخدامها كذريعة للقضاء على الجماعات اليهودية في المدينة، حيث قال: "كان موقف اليهود أسوأ من موقف المشركين، فقد حاول محمد أن يظهرهم بمظهر **المعتدين الناكثين للعهد**، وفي غضون سنوات قليلة أُخرجت كل الجماعات اليهودية أو قُضيَ عليها في الواحات المحيطة بالمدينة، وقد التمس المسلمون لذلك **أسبابًا واهية**"(١٨٤).

إن المطلع على بنود عهود النبي ﷺ ومواثيقه مع غير المسلمين يجد أن هذه العهود لم تَسْعَ إلى تحقيق الأخوة الاجتماعية ومبدأ التعايش السِّلميّ والمواطنة فحسب؛ بل يجد كذلك أنها أقرت وأكدت على حقوق كل فئة وواجباتها فيما يخص الدفاع والنصرة تجاه الأعداء، فقد وُضِعت في هذه العهود الحقوق والواجبات التي يتساوى فيها المسلمون مع غيرهم، **فعلى سبيل المثال:** عهود النبي ﷺ مع سكان المدينة، ولما كان اليهود هم أبرز عناصر السكان في ذلك الوقت ذكرهم النبي في أكثر من بند من هذه الوثيقة، حيث أكد أن اليهود من مواطني الدولة الإسلامية، وعنصر من عناصرها، وأن الدفاع عنهم ونصرتهم واجبة مثلهم مثل المسلمين، حيث ورد ما نصه: "وأنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وأن اليهود أمة مع المؤمنين"(١٨٥)، كذلك فعل النبي مع نصارى نجران، حيث ورد في العهد الذي عقده النبي ﷺ مع نصارى نجران ما

(١٨٣) **بروكلمان**: تاريخ الشعوب الإسلامية، صـ٤٦.
(١٨٤) **يوليوس فلهاوزن**: تاريخ الدولة العربية، صـ١٥-١٦.
(١٨٥) **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٣٣-٣٤.

نصه: "ولا يؤاخذ أحد منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله، وذمة النبي ﷺ أبدًا حتى يأتي الله بأمره إن نصحوا، وأصلحوا فيما عليهم، غير مثقلين بظلم"(١٨٦).

وبناء على هذه البنود نرى أن النبي ﷺ ساوى بين الجميع في الحقوق والواجبات خاصة في الناحية العسكرية ومهمة الدفاع عن أطراف هذه العهود، ولم يكن هناك بند واحد في هذه العهود يُفهم منه رغبة النبي في محاربة أحد أطرافه أو تصيد أخطائهم، بل إن جميع الحملات العسكرية ضد اليهود كانت بسبب فعل قاموا به ونقضوا به العهد كما سيأتي بيانه.

يزعم المستشرق يوليوس فلهاوزن أن المسلمين كانوا يلتمسون **أسبابًا واهية** للقضاء على اليهود(١٨٧)، وهو يقصد العملية العسكرية التي شنها النبي ﷺ ضد بعض جماعات اليهود، إلا أن هذا المستشرق لم يضع الأحداث في نصابها أولاً قبل هذا الحكم، فمن المعلوم أن النبي ﷺ عقد عهودًا مع سكان المدينة ومنهم اليهود، واتفقوا على النصرة وعدم التناصر أو التحالف مع الغير ضد أطراف هذا العهد كما ورد في بنود صحيفة المدينة(١٨٨)، إلا أن اليهود قد أضمروا الحقد للنبي ﷺ والمسلمين منذ اللحظة الأولى التي جاؤوا فيها إلى المدينة(١٨٩)، وكانوا يتهمون من أسلم منهم بالكذب والخيانة حتى لو كان حَبرًا من أحبارهم(١٩٠)، بل إن بعضهم كان

(١٨٦) **أبو يوسف**: كتاب الخراج، صـ٨٤؛ **البيهقي**: السنن الكبرى، جـ٩، صـ١٩٥.
(١٨٧) **يوليوس فلهاوزن**: تاريخ الدولة العربية، صـ١٦.
(١٨٨) **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٣٣.
(١٨٩) تجلت مظاهر هذا الحقد في أكثر من مناسبة، **وعلى سبيل المثال** ما روته أم المؤمنين السيدة صفية بنت حيي ابن أخطب، قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قُبَاء، ذهب إليه أبي حُيَيُّ بنُ أخطبَ وعَمِّي أبو ياسر ابن أخطب، وظلوا مع النبي حتى غروب الشمس، ولما رجعا سمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت. **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٥٢.
(١٩٠) رُويَ في قصة إسلام **"حُصين بن سلام"** أحد أحبار اليهود، أن جماعة من اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ وكان عنده الحصين بن سلام وقد أعلن إسلامه، فاختبأ في بعض بيوت النبي، فسألهم

يأتي إلى المسجد يستمع لأحاديث المسلمين ثم يسخر ويستهزئ بدينهم(١٩١)، وقد ظهر هذا الحقد جليًّا بعد انتصار المسلمين في معركة بدر على كفار قريش، حيث قالت اليهود للنبي ﷺ: "يا محمد، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا، فنزل قول الله ﷻ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران:١٢](١٩٢).

ولما أدرك يهود المدينة أن هذه الأساليب لا تنفع، عَمَدُوا إلى المؤامرات والتحالف مع المنافقين والمشركين من أهل مكة والمدينة في محاولة منهم للنيل من النبي ﷺ والمسلمين حقدًا وكَمَدًا، فدفعهم ذلك إلى عدم الوفاء بالعهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ، فهؤلاء **يهود بني قينقاع** اجتمعوا على رجل مسلم فقتلوه، فكانوا أول من نقض عهد النبي ﷺ(١٩٣)، وبعد أن نكث يهود بني قينقاع العهد، تحرك النبي ﷺ ضدهم وحاصرهم مدة خمسةَ عَشَرَ يومًا فيما عرف في كتب التاريخ بـــ"**غزوة بني قينقاع**"، وبعد المفاوضات استسلم بنو قينقاع، وعلى الرغم من أنهم ناقضون للعهد

النبي عن الحصين بن سلام فقالو له: سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا، فخرج عليهم الحصين بن سلام وقال لهم: يا معشر اليهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ وأومن به وأصدقه، فقالوا كذبت، فنزل قوله ﷻ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠]. **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٥٠-٥١؛ **الطبري**: تفسير الطبري، جـ٢٢، صـ١٠٤.

(١٩١) كان المنافقون منهم يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم، وفي إحدى المرات رآهم النبي ﷺ يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض، فأمر النبي بإخراجهم من المسجد **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٦١.

(١٩٢) **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٨٩.

(١٩٣) رُوِيَ أن امرأة من المسلمين كانت جالسة عند صائغ بسوق بن قينقاع، فاجتمع بعض اليهود حولها يريدونها أن تكشف عن وجهها فأبت، فعَمَدَ الصائغُ اليهودي إلى طَرَفِ ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فاجتمع اليهود على المسلم فقتلوه. **الواقدي**: المغازي، جـ١، صـ١٧٦؛ **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٣١٤.

وكان حقًّا على النبي أن يقاتلهم جراء نقضهم العهد، إلا أن النبي ﷺ عاملهم بالرحمة واللين وطلب منهم فقط الجلاء عن المدينة، بل سمح لهم بجمع أموالهم المستحقة على بعض سكان المدينة(١٩٤)، فأخذوا أولادهم ونساءهم وذهبوا إلى بلاد الشام(١٩٥)، ويعلق مونتغمري واط على هذا الحدث بقوله: "هوجمت قبيلة بني قينقاع اليهودية بعد أن أدت خصومة تافهة لموت مسلم"(١٩٦)، ولكن لم يُهاجَم بنو قينقاع بسبب خصومة تافهة، بل بسبب قتلهم للمسلم خاصة مع وجود عهود قد أكدت في أكثر من موضع على ضرورة حفظ الأنفس.

أما عن **يهود بني النضير** فلم يكتفوا بإظهار العداء ضد المسلمين شفويًّا مثلما فعل بنو قينقاع، بل ناصبوا النبي العداء حينما تآمروا على قتله ﷺ بمحاولة إلقاء صخرة عليه وهو جالس(١٩٧)، وبسبب هذا الغدر قرر النبي ﷺ جمعَ المسلمين ومحاربتهم جزاء نقضهم للعهد فيما عرف في كتب التاريخ بـــ "**غزوة بني النضير**"، ولما علم يهود بني النضير بذلك تحصنوا بحصونهم، وقد وصف الله ﷻ ذلك في قوله: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ [الحشر:٢]، فحاصرهم النبي ﷺ ست ليالٍ حتى استسلموا وطلبوا من النبي ﷺ أن يسمح لهم بالجلاء، فوافق

(١٩٤) **الواقدي**: المغازي، جـ١، صـ١٧٧؛ **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٣١٥.
(١٩٥) **الواقدي**: المغازي، جـ١، صـ١٨٠.
(١٩٦) **مونتغمري وات**: محمد في المدينة، صـ٢٤.
(١٩٧) رُويَ أن النبي ﷺ ذهب إلى بني النضير يطلب منهم المساعدة في دفع دية قتيلين بموجب ما كان بينهم من عهود، فوافقوا وقالوا له: "نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه"، ثم خلا بعضهم إلى بعض واتفقوا على أن يعتلي أحد منهم بيتًا ويلقي صخرة على النبي ﷺ وكان مستندًا على جدار من بيوتهم، فجاء الوحي وأخبر النبيَّ ﷺ بما يريدون فعله، فقام وخرج راجعًا إلى المدينة. **الواقدي**: المغازي، جـ١، صـ٣٦٥؛ **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٤، صـ١٤٣.

النبي ﷺ على أن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح[١٩٨]، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الغزوة في سورة الحشر حتى سُميت بـــ"سورة بني النضير"[١٩٩].

أما **يهود بني قريظة** فلم يجهروا بعداوة النبي عن طريق القول، أو عن طريق تدبير المؤامرات فحسب، وإنما انتقلوا إلى التآمر العسكري مع أعداء المسلمين بالرغم من أن عهد النبي ﷺ معهم ينص على أن "بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة"[٢٠٠]، ففي سنة (٥هـــ/٦٢٧م) قررت قريش ومعها مجموعة من القبائل العربية غزو المدينة فيما عرف بعد ذلك بـــ"**غزوة الخندق**" أو "**غزوة الأحزاب**"، فخرج النبي في ثلاثة آلاف من المسلمين، وجعلوا الخندق بينهم وبين الأحزاب[٢٠١]، وبينما كان المسلمون محاصرين من قبل القبائل المعادية، دخل يهود بني قريظة في تفاوض مع هذه القبائل، واتفق الفريقان على أن يتم الهجوم على المسلمين من جبهتين، الأولى من الخارج بواسطة القبائل، والثانية من الداخل بواسطة بنو قريظة، وقد وصف الله ﷻ هذا التآمر بقوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب:١٠]، فيما يعد نقضًا صريحًا للعهود التي بينهم وبين النبي ﷺ[٢٠٢]، وبعد أن انتهت غزوة الخندق ورجعت قريش ومن معها من القبائل إلى بلادهم، أمر النبي أصحابه بالتوجه إلى بني قريظة[٢٠٣]، وقال قولته الشهيرة:

(١٩٨) **الواقدي**: المغازي، جـ١، صـ٣٦٧؛ **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٤، صـ١٤٤-١٤٥.
(١٩٩) **الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد**: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤ م، جـ٤، صـ٢٦٩-٢٧٠.
(٢٠٠) **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٣٤.
(٢٠١) **الواقدي**: المغازي، جـ٢، صـ٤٥٣؛ **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٤، صـ١٧٧.
(٢٠٢) **الواقدي**: المغازي، جـ٢، صـ٤٥٩؛ **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٤، صـ١٨٧.
(٢٠٣) رُويَ عن أم المؤمنين عائشة ﵂ أنها قالت: "لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل ﵇ فقال قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه، فاخرج إليهم، فقال النبي: فإلى أين، قال: ها هنا وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم. **البخاري**: صحيح البخاري، جـ٤، صـ١٥١٠.

"من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة"(٢٠٤)، فحاصرهم النبي ﷺ ومن معه من المسلمين حتى استسلموا فنزل فيهم حكم الله ﷻ في قوله: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَأُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾ [الأحزاب:٢٧](٢٠٥).

ونستنتج من هذه الأحداث: أن النبي ﷺ ومعه المسلمون لم يلتمسوا أسبابًا واهيةً للقضاء على غير المسلمين المعاهدين، بل كانوا حريصين على الوفاء بهذه العهود، وإننا نجد الأطراف الأخرى قد عز عليها أن يكون هناك عهد بينها وبين المسلمين فسارعوا إلى نقضها، فكان رد النبي ﷺ عليهم من جنس العمل، ورغم ذلك كان النبي ﷺ يعفو عمن أعلن إسلامه حتى في أثناء الحصار(٢٠٦)، أما من زعم أن عهود النبي ﷺ كانت اتفاقيات مؤقتة أراد تحقيقها حتى يتفرغ لمعاركه وسراياه مع القبائل الأخرى وخاصة قريش، فربما كان هذا سببًا من أسباب عهود النبي ﷺ ومواثيقه إلا أنه لم يكن المحرك الأساسي لها، فقد رغب النبي ﷺ في أن يأمن جانب اليهود؛ لأنه كان يعلم بغدرهم، مثلما فعلوا مع الأوس والخزرج قبل الهجرة، فأراد النبي ﷺ أن يضع كل قواه أمام عدو الإسلام الأول وهم قريش، خاصة أن الدولة الإسلامية كانت ما تزال ناشئة، ولا تستطيع أن تدخل في حروب مع جبهات عدة، أو مواجهة أكثر من عدو.

(٢٠٤) **الواقدي**: المغازي، جـ٢، صـ٤٩٧؛ **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٤، صـ١٩٢.
(٢٠٥) **الطبري**: تفسير الطبري، جـ١٩، صـ٧١.
(٢٠٦) ذكر ابن اسحاق أن ثلاثة من اليهود أعلنوا إسلامهم في الليلة التي استسلمت فيها بنو قريظة للنبي ﷺ وهم: ثعلبة ابن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد. **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٤، صـ١٩٧.

● **الشبهة الثانية: العهود كانت اتفاقيات مؤقتة للاستيلاء على ممتلكات غير المسلمين:**

إن تشويه القيم الحضارية الإسلامية بأسباب مادية أمر اعتاد المستشرقون على قوله والإشارة إليه، ومثل ذلك تشويههم الفتوحات الإسلامية بأنها كانت بحثًا عن الغنائم، وتشويههم عهود النبي ﷺ ومواثيقه بنفس الأمر أيضًا، فقد أشار بعض المستشرقين إلى أن العهود لما يكن لها أية أهداف إنسانية، وإنما كان الهدف العسكري هو هدفها الرئيس الذي رغب المسلمون من خلاله في الاستيلاء على ما كان لغيرهم من أراضٍ خصبة وزروع وثمار وأموال، وإلى هذا ذهب المستشرق يوليوس فلهاوزن في قوله: "إنه في غضون سنوات قليلة أُخرجت كل الجماعات اليهودية أو قُضيَ عليها، وأعطيَ ما كان لهم من مزارع النخيل الخصبة إلى المهاجرين الذين لم تكن لهم حتى ذلك الحين أرض ولا ممتلكات بل كانوا معتمدين على كرم ضيافة الأنصار، وكانوا يعيشون من التجارة أو الغزو"(٢٠٧)، وعلى نفس هذا المنهج يقول بروكلمان: "إن القوافل المكية التي كانت تمر بالمدينة لم تلبث أن أثارت الرغبة في الغنيمة عند فقراء المدينة الذين عرفوا طعم الفاقة الملحة، بوصفهم مهاجرين إلى المدينة المزدحمة بالسكان"(٢٠٨).

إن المطلع على بنود عهود النبي ﷺ يجد أنها لا تحمل في طياتها أي نوع من أنواع التمييز في واجبات الدفاع أو حتى نفقات الحرب حتى يزعم المستشرقون أن الأثر العسكري للعهود كان طمعًا فيما عند الآخرين، أو أنه كان يهدف للاستيلاء على ممتلكاتهم، بل إن النبي ﷺ أقر في هذه العهود أن على الجميع نفقة الحرب،

(٢٠٧) **يوليوس فلهاوزن**: تاريخ الدولة العربية، صـ١٦.
(٢٠٨) **بروكلمان**: تاريخ الشعوب الإسلامية، صـ٤٩.

فقد ورد ما نصه: "وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين"(٢٠٩).

وبالرغم من وضوح هذه البنود، فإن اليهود لم يلتزموا بها، ومع ذلك كان النبي ﷺ يسمح لهم بأن يأخذوا أموالهم وبضائعهم وكل ما تسطيع الإبل حمله إلا السلاح – كما مر ذكره –، فلو كان الهدف من هذه العهود ماديًّا –كما زعم بعض المستشرقين– لما سمح لهم النبي ﷺ بحمل أموالهم وبضائعهم وجميع أغراضهم، ولانتهز الفرصة للاستيلاء عليها، وإنما كانت إجراءات النبي ﷺ ضدهم جزاءً لهم على نقضهم العهد.

بل إن بعض المستشرقين لما عجز عن إيجاد ما يستطيع تأويله لتبرئة ساحة اليهود، عمل على التشكيك في صحة تاريخها، فهذا المستشرق مونتغمري واط يزعم أن الوثيقة لم توقع في المدينة ولم يكن اليهود طَرَفًا فيها، فقال: "الوثيقة نص اتفاق أصلي وُقع بين محمد وقبائل المدينة في العقبة"(٢١٠)، وهو يريد أن هذه الوثيقة وقعت بين النبي ووفد الأنصار أثناء بيعة العقبة قبل هجرة النبي(٢١١)، ولم يكن اليهود طرفًا فيها، وهو بذلك يريد القول أن اليهود لم ينقضوا العهد؛ لأنهم لم يكونوا طرفًا فيه من الأساس، وأن المسلمين هم من بدأوا بالاعتداء عليهم لأسباب عسكرية أو مادية، وقد بين ابن سلام في كتاب "الأموال" أن الوثيقة كانت عند مقدم النبي ﷺ

(٢٠٩) **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٣، صـ٣٣-٣٤.
(٢١٠) **مونتجومري وات**: محمد في المدينة، صـ٣٤٦.
(٢١١) **"بيعة العقبة":** في البيعة الأولى، بايع النبي ﷺ وفدًا من أهل المدينة على الإيمان بالله وعدم الشرك به، وإبطال بعض عادات الجاهلية مثل الزنا وشرب الخمر، ولم تتضمن هذه البيعة أية بنود عن الحرب لذلك سمية "بيعة النساء"، أما البيعة الثانية وتُعرف أيضا بـ"بيعة العقبة الكبرى" فقد عُقد التحالف الديني والعسكري بين النبي محمد ﷺ والمسلمين من أهل المدينة، وكان ذلك في مكة قبل الهجرة. **ابن هشام**: السيرة النبوية، جـ٢، صـ٣٠٢.

إلى المدينة قبل أن يظهر الإسلام ويقوى وقبل أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب(٢١٢)، لذلك يبطل ادعاؤهم بأن الوثيقة كانت قبل الهجرة.

وقد حاول بعض المستشرقين الإشارة إلى أن عقوبة نقض العهود كانت تهدف إلى المكاسب المادية في المقام الأول، ويظهر ذلك في قول المستشرق برنارد لويس: "استسلم يهود خيبر للنبي ﷺ بعد حوالي شهر ونصف من الأعمال العدائية، ومُنحوا شروطًا سُمح لهم بموجبها بالبقاء في الواحة وزراعة أراضيهم، على أن يُسلموا نصف المحصول للمسلمين(٢١٣).

وهذا التحليل قد جانب الصواب؛ فقد استعمل النبي ﷺ استراتيجية سياسية وعسكرية معروفة منذ أقدم العصور، إذ إنه قدم كل ما يمكن تقديمه من المكاسب لمن دخل معه في معاهدة، وفي حالة الإخلال بشروط المعاهدة كان النبي ﷺ يشترط الشروط التي يتعين على الرافضين التكيف معها(٢١٤)، أي أن النبي كان يخير الناقضين للعهد بين أكثر من خيار، كانت جميع هذه الخيارات قابلة للتنفيذ ولم تكن تعجيزية.

هذا المنهج الذي اتبعه المستشرقون في دراسة عهود النبي قد دفع آخرَ للقول: "كان المهاجرون ينتظرون بفارغ الصبر نتيجة مقاومة اليهود في يثرب؛ لأن حالتهم

(٢١٢) نص ما ذكره ابن سلام: "كان هذا الكتاب فيما نرى حدث عند مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قبل أن يظهر الإسلام ويقوى، وقبل أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب، وكانوا ثلاث فرق: بنو القينقاع، والنضير، وقريظة فأول فرقة غدرت ونقضت الموادعة بنو القينقاع، وكانوا حلفاء عبد الله بن أبي، فأجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة، ثم بنو النضير، ثم قريظة". **ابن سلام**: الأموال، صـ٢٦٦.

(213)"The Jews of Khybar capitulated to the Prophet after about a month and a half of hostilities, and were granted terms by which they were allowed to remain in the oasis and to cultivate their lands; but they were to hand over one-half of the produce to the Muslims" .**Bernard Lewis**: The Jews Of Islam, Princeton University Press, USA, 1984, p.10.

(٢١٤) **جون مورو**: عهود النبي مع مسيحيي العالم، صـ٧٢.

-أي المهاجرين- كانت سيئة جدًّا؛ إذ لم يكن لهم مال ولا زروع ولا منازل، بل كانوا يسكنون مع الأنصار"(٢١٥).

ومثل هذا الاتجاه أيضًا سلكه بعض المستشرقين في حديثهم عن نظام الجزية، هذا النظام رغم عدالته لم يَسْلَمْ من أقلام المستشرقين، سواء بالقول بأن المسلمين كان يسعون من خلاله إلى جمع الأموال، أو بالقول بأنه كان تمييزًا بين المسلمين وغير المسلمين، بل إن بعضهم زعم أن النصارى كانوا يدخلون في الإسلام هربًا من دفع الجزية، وأن بعضهم كان يختبئ لعدم مقدرته على الدفع(٢١٦)، ولم يكن نظام الجزية الذي فرضه الإسلام نظامًا ماديًّا يسعى المسلمون من خلاله للتمييز بينهم وبين غيرهم أو أنه كان لجمع الأموال، فقد غفل هؤلاء عن أن فرض الجزية يأتي بعد تخيير أهل الذمة للدخول في الإسلام، فإذا اختاروا الإسلام فإنها تسقط عنهم، وإن اختاروا دفع الجزية فإنها تؤخذ منهم لاعتبارات عدة، فضلاً عن أن نظام الجزية يُقابل نظام الزكاة عند المسلمين، كذلك فإن رحمة الإسلام ظاهرة في هذا الأمر، حيث لا تؤخذ الجزية من المسكين الذي يُتصدق عليه، ولا مِن أعمى لا حرفة له ولا عمل، ولا من الرهبان في الأديرة(٢١٧)، بل إن المقوقس نفسه لما أرسل إليه النبي ﷺ عهدًا يدعوه للإسلام، استقل بهذا المقدار للجزية، وقال لمن حوله: "أما يرضى أحدكم أن يأمن على دهره ودينه وماله ونفسه مقابل دينارين في السنة، فإذا أحب دخول الإسلام فمقابل الجزية الزكاة"(٢١٨)، أي أن عهود النبي ﷺ ومواثيقه قد عدلت بين الجميع حتى في الأمور المادية التي تؤخذ من الجميع لإصلاح أمور الدولة.

(٢١٥) **ولفنسون**: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، صـ١٢٧.
(٢١٦) **ستانلي لين بول**: تاريخ مصر في العصور الوسطى، صـ٦٦.
(٢١٧) **أبو يوسف**: كتاب الخراج، صـ١٣٥.
(٢١٨) **ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله**: فتوح مصر والمغرب، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، صـ٩٥.

وتتضح من هذه النصوص خلاصة نظرية المستشرقين في هذه الشبهة التي تتلخص في نظرتهم المادية للأمور، فكل ما استطاعوا تفسيره حول عهود النبي وكذلك غزواته بل والفتوحات الإسلامية من بعده، أنها كانت بحثًا عن الغنائم بسبب قسوة الحياة المادية والاقتصادية في الجزيرة العربية، وأن هذه الرغبة هي التي دفعت المسلمين للتطلع إلى ما في البلاد الأخرى الغنية من موارد اقتصادية، ولكي يثبت هؤلاء مزاعمهم أخذوا من أحداث التاريخ الإسلامي ما يوافق رأيهم، ثم فسروه حسب تلك الفكرة المسبقة التي كونوها عن الإسلام بصفة عامة.

- **الشبهة الثالثة: العهود كانت خطوة للتوسع العسكري الإسلامي:**

من الشبهات التي أراد المستشرقون فرضها في حديثهم عن الأثر العسكري لعهود النبي ﷺ، أن النبي إنما أراد بتلك العهود تكوين إمبراطورية كبيرة تحت سلطته، بل وصف بعضهم فتح مكة، أن النبي ﷺ كان يريدها أن تكون مركز الإمبراطورية الإسلامية، وقد أشار لذلك المستشرق مونتغمري واط في قوله: "لم يكن فتح مكة غاية في حد ذاته، فقد تم اختيار مكة منذ فترة طويلة لتكون المركز الجغرافي للإسلام، وإذا أمكن إخضاع مكة لسيطرته، فإن مكانته وقوته سوف تزدادان إلى حد كبير؛ فبدون مكة كان موقفه ضعيفًا نسبيًّا، وعلاوة على ذلك، كان محمد في حاجة إلى القدرات العسكرية والإدارية للمكيين"(٢١٩).

وعلى نفس المنوال يقول المستشرق يوليوس فلهاوزن: "انتهى أول اشتباك كبير عند بدر في السنة الثانية من الهجرة بانتصار محمد انتصارًا لم يكن في الحسبان، فساعد ذلك على ازدياد نفوذ محمد وكسر شوكة خصومه وتثبيت قدم

(٢١٩) **مونتغمري وات:** محمد في المدينة، صـ٩٧.

الإسلام، ولم يبق الإسلام على تسامحه، بل شرع في الأخذ بسياسة الإرهاب في المدينة"(٢٢٠).

ويقول المستشرق مونتغمري في حديثه عن غزوة مؤتة: "كان هدف محمد توحيد العرب تحت سلطته والتوسع بهم نحو الشمال"(٢٢١).

في هذه النصوص تظهر إشكالية الصورة التي رسمها المستشرقون القائلون بأن النبي ﷺ قد مارس نوعًا من "الجهاد السلمي - peace jihad" في محاولة منهم لربط عهود السلام بالجهاد وحل النزاعات(٢٢٢).

وإلى هذا المعنى أيضًا ذهب برنارد لويس في قوله: "في مرحلة مبكرة من مسيرة النبي كحاكم للمدينة المنورة، دخل في صراع مع القبائل اليهودية الثلاث المقيمة، ووفقًا للتقاليد الإسلامية، خُيّر اثنان بين اعتناق الإسلام والنفي –بنو قينقاع وبنو النضير–، وخُيّر الثالث –بنو قريظة –، بين اعتناق الإسلام والموت(٢٢٣).

---

(٢٢٠) **يوليوس فلهاوزن**: تاريخ الدولة العربية، ص١٥.

(٢٢١) **مونتغمري وات:** محمد في المدينة، صـ٩٧.

(٢٢٢) استضافت جامعة "جورج تاون - Georgetown" بالولايات المتحدة الأمريكية في الثاني والثالث من شهر نوفمبر عام ٢٠٠٢م، ندوةً دوليةً حول "**السلام والجهاد وحل النزاعات**"، وكان ذلك بالتعاون بين الجمعية الأمريكية للعلوم الاجتماعية (AMSS)، والمعهد الدولي للفكر الإسلامي (IIIT)، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ICESCO)، وكان الهدف من هذه الندوة تعميق فهم مكانة الإسلام تجاه المفاهيم الحديثة للسلام والجهاد والعنف والصراع العسكري، ومن أبحاث هذه الندوة بحث تحت عنوان: "المفاهيم بين وجهات النظر العالمية الإسلامية والغربية: الجهاد كمثال"، تناول فيه الباحث معنى السلام والجهاد وحل النزاعات من منظور فقهي إسلامي من خلال دراسة كيفية تحكم هذه المفاهيم بقيم التوحيد، وأن معظم القواعد الفقهية في الإسلام تستند إلى السلام، وتناول المشاركون هذه القضية من أربعة محاور هي: "الجهاد والحرب والسلام في النصوص الإسلامية المرجعية"، و"الموقف الإيجابي تجاه الآخر"، و"الدين: أداة لحل النزاعات"، و"الجذور الدينية والثقافية للحرب والسلام". **نقلًا عن**: الموقع الرسمي للجامعة [https://www.georgetown.edu].

(٢٢٣) **Bernard Lewis**: The Jews Of Islam, p.10.

ويظهر من هذه النصوص محاولة تصوير عهود النبي ﷺ ومواثيقه على أنها نضال رجل سياسي يريد بسط نفوذه على مساحة كبيرة من الأراضي، وتوحيد جميع العرب ليكونوا تحت سلطته، لذلك لا نعجب من قولهم إن الهدف من العهود كان بسط السيطرة العسكرية.

أما إذا أردنا الربط بين عهود النبي ﷺ ومواثيقه، وبين حروبه وغزواته، فنجد أنه ليس هناك تناقض في واقع الأمر، فكما كان النبي حريصًا على إبرام العهود والمواثيق وتحقيق السلام بين كافة الأطراف، وتشهد على ذلك عهوده مع غير المسلمين التي نصت على أن الجميع أمة واحدة، وأن الجميع شركاء في نظام سياسي واحد مسؤول عن حمايتهم مقابل أداء واجباتهم في الدفاع عنها، كذلك كان النبي ﷺ رجل حرب قد شن حروبًا وخاض معاركَ عديدةً، ولكن النبي ﷺ لم يسعَ للقتال كغاية في حد ذاته، وإنما هو وسيلة لإزالة العقبات عن طريق الدعوة، لذلك كان النبي ﷺ يعرض على القبائل الإسلام أولاً، فهذا هو هدف النبي ﷺ الذي كان يسعى لأجله، فإذا قبلوا الإسلام كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، أما إذا رفضوا الدخول في الإسلام، فإنه يخيرهم إما الجزية، وهي المقدار القليل الذي يؤخذ من أهل الكتاب مقابل بقائهم على دينهم آمنين سالمين دون التعرض إلى أي خطر، ولا تؤخذ إلا من القادر على القتال ويعفى منها النساء والأطفال والشيوخ والرهبان وغير القادرين، وإما القتال، وهي وسيلة لكسر شوكة ملوك الكفر الذين يحولون بين الإسلام وشعوبهم المغلوبة على أمرهم، ورغم أن المسلمين أوضحوا أن غايتهم نشر الإسلام، وأن القتال ليس غاية في حد ذاته، إلا أن المستشرقين عن قصد أو سوء فهم لمغزى الجهاد في الإسلام أثاروا حوله الشبهات.

الخاتمة

تناول البحث في الصفحات السابقة آراء بعض المستشرقين –بمختلف توجهاتهم الفكرية والمعرفية– حول الأثر الحضاري لعهود النبي ﷺ ومواثيقه، وقد تبين بعد دراسة كثير من هذه النصوص أن آراء المستشرقين حول عهود النبي ﷺ ومواثيقه تباينت في **اتجاهين رئيسيين**:

الاتجاه الأول: الانحراف التام عن المنهج العلمي السليم، وتعمد التشويه والتزييف.

أما الاتجاه الثاني: فهو إظهار الإنصاف والموضوعية في بعض المواضع، وتحسس التعصب في مواضع أخرى، وأن هذا الاتجاه الأخير هو الجدير بالدراسة والتحليل والنقد؛ إذ إن الكتابات التي يظهر عليها الزيف والتشويه قد يأبى البعض أن يسلم بصحتها، بينما الكتابات التي يظهر عليها المنهج العلمي السليم قد يكون بداخلها ما هو أخطر من الكتابات الأخرى، ولا يمكن بحال من الأحوال أن نكون مجرد ناقلين لها؛ لأن ذلك قد يجعلها معلوماتٍ مسلمةً مهما كانت خاطئة؛ لذلك فقد خرجت من هذه الدراسة **بعدة نتائج، منها**:

١) إن آراء بعض المستشرقين تجاه عهود النبي ﷺ ومواثيقه تكشف عن بعض التيارات الفكرية في العالم الغربي، ألا وهي الرفض الكامل وعدم قبول أي صورة إيجابية عن الإسلام والنبي محمد ﷺ، وذلك بناءً على أفكار ومعتقدات مسبقة، وأن أولئك المستشرقين الذين يعتقدون بأن عهود النبي ﷺ مجرد تلفيقات هم أنفسهم –في كثير من الأحيان– الذين يزعمون أن نصوص الأحاديث النبوية كلها زائفة، وأن القرآن نفسه من ابتداع النبي ﷺ أو ربما كان ساحرًا استطاع

إقناع رجال البادية بأن ذلك وحي إلهي حقيقي، لكي يستطيع بعد ذلك السيطرة عليهم.

٢) هناك فئة من المستشرقين يرون أن عهود النبي ﷺ لم تكن لها أية آثار أو قيم حضارية لأنها كانت اتفاقياتٍ مؤقتةً -على حد زعمهم-، ويرى أصحاب هذا الرأي أن عهود النبي ﷺ كانت تنتهي بانتهاء الغرض منها ولم تعد هناك حاجة إليها، ويرون أن النبي ﷺ كان يدرك أن التعايش مع غير المسلمين كان أمرًا مؤقتًا، وأن الإسلام في النهاية هو الدين الحق الذي يجب أن يسود.

٣) زعم بعض المستشرقين أن عهود النبي ﷺ ومواثيقه كانت قائمة على المناورات السياسية، ويرى أصحاب هذا الرأي أن النبي ﷺ كان يستخدم العهود مع النصارى لتحقيق مصلحة سياسية تتمثل في توسيع الإمبراطورية الإسلامية وإخضاع القبائل العربية تحت سيطرته، وقد استدلوا على ذلك ببعض الأحداث التي أعقبت إبرام العهود، وزعموا أنها كانت تظهر فيها سياسة النبي ﷺ لتحقيق هذا الهدف -على حد تفسيرهم لهذه الأحداث-.

٤) يرى فريق آخر من المستشرقين أن هذه العهود كانت مجرد تكتيكات عسكرية، سعى النبي ﷺ من خلالها إلى تأمين المسلمين من خطر غير المسلمين من ناحية، ومن ناحية أخرى إلى توحيد صفوف المسلمين وتقوية شوكتهم في مواجهة أعدائهم، فضلاً عن كسب

تحالف قبائل أخرى لمناصرة النبي ﷺ ضد أعدائه خاصة كفار مكة.

٥) أما المستشرقون أصحاب النظرية المادية، فيرون أن عهود النبي ﷺ ومواثيقه كانت لأسباب مادية بحتًا عن الغنائم نظرًا لشظف الجزيرة العربية، وأن عهود النبي مع اليهود كانت خطوة للاستيلاء على أراضيهم وأموالهم، وذلك عن طريق تحسس أسبابٍ واهية –على حد وصفهم– لاتهامهم بنقض العهد، ثم إخراجهم من المدينة والاستيلاء على ممتلكاتهم، وهذا ما أثبتنا زيفه وبطلانه.

٦) أثبتت المصادر الإسلامية أن عهود النبي ﷺ ومواثيقه كانت قائمةً على مبدأ التسامح الديني والتعايش السِّلميّ، وأن النبي ﷺ كان يتعامل مع غير المسلمين على أساس الإحسان والعدل، وأن عهوده معهم كانت تعكس هذه الروح، فلم يسعَ إلى إكراههم على الإسلام، بل ترك لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية، ويدل على ذلك بنود هذه العهود التي أقرها النبي مع يهود المدينة، ومع وفود النصارى مثل: وفد نصارى نجران، ووفد نصارى اليمن، ووفد نصارى أيلة، ووفد نصارى أذرح؛ فقد نصت على حمايتهم وضمان سلامتهم مقابل دفع الجزية التي كانت تؤخذ منهم مقابل الزكاة التي تؤخذ من المسلمين، فعكست بنود هذه العهود رغبة النبي ﷺ في التعايش السِّلميّ مع غير المسلمين وحفظ حقوقهم، وهذا ما ذهب إليه أيضًا بعض المستشرقين –وإن قلوا–.

٧) شهدت النصوص التاريخية الإسلامية أن عهود النبي ﷺ ومواثيقه كانت لها آثارٌ حضارية قيمة، فمن **الناحية الدينية**: أكدت هذه العهود على أن حرية الاعتقاد والعبادة مكفولة للجميع، وتم منح أهل الكتاب قدرًا كبيرًا من الحرية في ممارسة شعائرهم في ظل الحكم الإسلامي، بشرط عدم معاداة المجتمع الإسلامي أو ممارسة العنف ضده، ومن **الناحية الاجتماعية**: أسست هذه العهود مبدأ التعايش بين أفراد المجتمع مع اختلاف أطيافهم عن طريق ترسيخ قيم اجتماعية كالعدل والمساواة، والأمانة، وحسن الخلق مع الآخرين.

المصادر والمراجع

۞ **القرآن الكريم**

❖ **أولاً: المصادر العربية**:

١) **ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٢م):** الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢) **أحمد بن حنبل، أبو عبد الله بن محمد الشيباني (ت:٢٤١هـ/٨٥٥م)**: أصول السنة، دار المنار، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٣) **الأصفهاني، أبو فرج علي بن الحسين (ت:٣٥٦هـ/٩٦٧م):** الأغاني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٤) **البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت:٢٥٦هـ/٨٦٩م):** صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٥) **البيهقي، أحمد بن الحسين (ت:٤٥٨هـ/١٠٦٦م)**: السنن الكبرى، دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م؛ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٦) **الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٣م)**: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٧) **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت:٨٠٨هـ/١٤٠٥م)**: تاريخ خلدون = ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠٠١م.

٨) **أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت:٢٧٥هـ/٨٨٩م):** سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، دون تاريخ.

٩) **الدِّينَوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت:٢٨١هـ/٨٩٤م):** عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٠) **الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت:٦٦٦هـ/١٢٦٨م)**: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١١) **ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت:٣٠٠هـ/٩١٢م)**: الأعلاق النفيسة، مطبعة بريا، ليدن (هولندا)، ١٣١٠هـ/١٨٩٣م.

١٢) **ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م):** الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٣) **ابن سلام، أبو عبيد القاسم الهروي البغدادي (ت:٢٢٤هـ/٨٣٨م):** كتاب الأموال، تحقيق: محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
١٤) **السمهودي، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت:٩١١هـ/١٥٠٦):** وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
١٥) **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الآملي (ت:٣١٠هـ/٩٢٣م)**: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الثانية، د.ت؛ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة رسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
١٦) **ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أعين (ت:٢٥٧هـ/٨٧١م):** فتوح مصر والمغرب، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
١٧) **الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت:٨١٧هـ/١٤١٥م)**: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم، مؤسسة رسالة، بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
١٨) **ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي** (ت:٦٢٠هـ/١٢٢٣م): المغنى، مكتبة القاهرة، مصر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
١٩) **الكاساني، أبو بكر بن مسعود (ت:٥٨٧هـ/١١٩١م):** بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٢٠) **ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت:٧٧٤هـ/١٣٧٢م):** البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر، القاهرة، دون تاريخ.
٢١) **ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد (ت:٢٠٤هـ/٨١٩م):** نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٢٢) **الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البغدادي (ت:٤٥٠هـ/١٠٥٨م):** الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٢٣) **مجاهد، أبو الحجاج بن جبر التابعي (ت:١٠٤هـ/٧٢٢م):** تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الفكر الإسلامي، مصر، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
٢٤) **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت:٣٤٦هـ/٩٥٧م):** مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٢٥) **مسلم، أبو الحسين بن الحجاج بن ورد النيسابوري (ت:٢٦١هـ/٨٧٥م)**: صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: أيمن إبراهيم الزملي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٢٦) **ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ/١٣١١م)**: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٢٧) **ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت:٢١٣هـ/٨٢٨م):** السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٢٨) **الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (ت:٤٦٨هـ/١٠٧٦م):** الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤م.
٢٩) **الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (ت:٢٠٧هـ/٨٢٣م):** كتاب الردة، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م؛ المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٣٠) **ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله الرومي (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٩م):** معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٣١) **أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (ت:١٨٢هـ/٧٩٨م):** الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف، المكتبة الأزهرية، القاهرة، دون تاريخ.

❖ **ثانيًا: المراجع العربية**:

٣٢) **أثناسيوس المقاري**: الكنائس الشرقية وأوطانها (كنيسة المشرق الأشورية)، مكتبة المنار، مصر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٣٣) **أحمد زكي بدوي**: معجم المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٣٤) **أحمد سمايلوفتش**: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ.
٣٥) **أحمد عجاج كرمي**: الإدارة في عصر الرسول ﷺ، دار السلام، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٣٦) **أحمد قائد الشعيبي**: وثيقة المدينة (المضمون والدلالة)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.
٣٧) **أحمد مختار عمر**: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٣٨) **إدوارد سعيد:** الاستشراق، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٣٩) **ألفريد جيوم**: الإسلام، ترجمة: محمد مصطفى هداره وشوقي السكري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.
٤٠) **إميل درمنغم**: الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة، ترجمة: عادل زعيتر، دار الشعاع، مصر، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٤١) **برنارد لويس:** العرب في التاريخ، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومحمود يوسف زايد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
٤٢) **جواد علي**: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤٣) **جون أندرو مورو (إلياس إسلام)**: عهود النبي محمد لمسيحي العالم، ترجمة: عمرو سلام ومحمد الكوش، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.
٤٤) **حسن إبراهيم حسن، وعلي إبراهيم حسن**: النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دون تاريخ.
٤٥) **حسين الحاج حسن**: النظم الإسلامية، المؤسسة الجامعية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٧م.
٤٦) **ستانلي لين بول**: تاريخ مصر في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد سالم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
٤٧) **سعد عبد الله سعد الماجد**: موقف المستشرقين من الصحابة ﷺ، دار الفضيلة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٤٨) **سعد عبود سمار**: الإجارة عند العرب قبل الإسلام وعصر الرسالة الإسلامية، المجلد: الأول، العدد: الثاني، السنة: ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.
٤٩) **سعيد عاشور وآخرون**: تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفية الجامعية، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٥٠) **صلاح الدين المنجد**: المجتمع الإسلامي، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٣٦٩هـ/١٩٧٦م.
٥١) **عبد الرحمن بدوي**: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٥٢) **عبد الرحمن الكواكبي**: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم: أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٥٣) **عبد الشافي محمد عبد اللطيف**: العالم الإسلامي في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م) دراسة سياسية، دار السلام، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٥٤) **عبد العزيز الدوري**: النظم الإسلامية، وزارة المعارف العراقية، بغداد، ط١، د.ت.
٥٥) **عبد الله محمد الأمين**: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٥٦) **عبد المتعال الصعيدي:** السياسة الإسلامية في عهد النبوة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة: الأولى، دون تاريخ.
٥٧) **علي بن إبراهيم النملة**: المستشرقون والتنصير (دراسة العلاقة بين ظاهرتين)، مكتبة الملك فهد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م؛ الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٥٨) **عون الشريف قاسم**: دبلوماسية محمد في ضوء رسائل النبي ومعاهداته، دار الطباعة، الخرطوم، دون تاريخ.

٥٩) **غسان الجندي**: قانون المعاهدات الدولية، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٦٠) **فتحية النبراوي**: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة: العشرون، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٦١) **فرانشيسكو كبرييلي**: محمد والفتوحات الإسلامية، ترجمة: عبد الجبار ناجي، المركز الأكاديمي للأبحاث، بغداد، الطبعة: الأولى، دون تاريخ.
٦٢) **كارل بروكلمان**: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٦٣) **كاهن كلود**: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، ترجمة: بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
٦٤) **كلود كاهن:** مذكرة حول قبول المسيحيين الشرقيين للإسلام، مجلة تاريخ الأديان، فرنسا، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
٦٥) **كونستانس جيورجيو**: نظرة جديدة في سيرة النبي، ترجمة: محمد التونجي، الدار العربية، بيروت، الطلعة: الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٦٦) **لويس شيخو**: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٦٧) **مالك عمر الخضر:** إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.
٦٨) **مَجْمَع اللغة العربية**: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٦٩) **محمد إبراهيم الفيومي**: الاستشراق رسالة استعمار (تطور الصراع الغربي مع الإسلام)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٧٠) **محمد أبو سعدة**: الاستشراق والفلسفة الإسلامية، دار مصر العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٧١) **محمد سهيل طقوش**: تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٧٢) **محمد عبد الله الشرقاوي**: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، دار البشير، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
٧٣) **محمد فاروق النبهان:** الاستشراق (تعريفه – مدارسه – آثاره)، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، المغرب، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
٧٤) **محمود حمدي زقزوق**: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ.
٧٥) **محمود عرفة**: العرب قبل الإسلام (أحوالهم السياسية والدينية)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٧٦) **مونتجومري واط**: محمد النبي ورجل الدولة، ترجمة: محمود حمود، دار التكوين، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ/١٩٥٤م.
٧٧) **ناظم عبد الواحد الجاسور**: موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٧٨) **نجيب العقيقي**: المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.
٧٩) **ولفنسون**: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، لجنة التأليف والترجمة، مصر، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.
٨٠) **وليام دويل**: الأرستقراطية، ترجمة: زينب عاطف، مؤسسة هنداوي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
٨١) **يوليوس فلهاوزن**: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام الى نهاية الدولة الاموية، ترجمة: محمد أبو ريدة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

❖ **ثالثًا: المراجع الأجنبية**:

82) Balthasar De Monconys: le Voyage en Égypte, Horace & Remeus George, France, 1664.
83) Bernard Lewis: The Jews Of Islam, Princeton University Press, USA, 1984.
84) Burckhardt: Travels in Syria and in the Holy Land, John Murray, London, 1822.
85) Claude Cahen: Note on the reception of Eastern Christians to Islam, Journal of the History of Religions, France, 1964.
86) Fred Donner: The Early Islamic Conquests, Princeton University Press, USA, 1981.
87) Jean de Thévenot: Relation d'un voyage fait au Levant, Chez Claude Barbin, Paris, 1665.
88) John Andrew Moro: Six Covenants of the Prophet Muhammad with the Christians of His Time, Angelico press, USA, 2015.
89) John Andrew Morrow: The Covenants of the Prophet Muhammad with the Christians of the World, Angelico Press, USA, 2013.
90) Montgomery Watt: Muhammad at Medina, Clarendon Press, USA, 1956.
91) Montgomery Watt: The Influence of Islam on Medieval Europe, Edinburgh University Press, Chicago, USA, 1972.
92) William Chauncey: The Oldest Christian People (The History and Traditions of the Assyrian People and the Fateful History of the Nestorian Church), The Macmillan Company, New York, 1926.